سلسلة المعارف الإسلاميّة

في رحاب القرآن

مركز نون
للتأليف والترجمة

شبكة المعارف الإسلامية
www.almaaref.org
الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

في رحاب القرآن

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

اسـم الكـتاب: في رحاب القرآن

إعـــــداد: مركز نون للتأليف والترجمة

نـــشـــر: جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

الطبعة الأولى: ٢٠١٣ م ـ ١٤٣٤هـ

بيروت ـ لبنان ـ المعمورة ـ الشارع العام
تلفون: 01/471070 فاكس: 01/476142
www.almaaref.org
Email:info@almaaref.org

مركز نون
للتأليف والترجمة

سلسلة المعارف الإسلاميّة

في رحاب القرآن

إعداد
مركز نون للتأليف والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

المقدّمة ٧

الدرس الأوّل: فضل القرآن وآداب التلاوة..... ٩

الدرس الثاني: مقاصد القرآن ١ ..... ١٩

الدرس الثالث: مقاصد القرآن ٢ ..... ٢٩

الدرس الرابع: سورة الشمس ٣٩

الدرس الخامس: سورة الليل..... ٤٩

الدرس السادس: سورة الانشراح..... ٥٩

الدرس السابع: سورة القدر..... ٧١

الدرس الثامن: سورة القارعة..... ٨١

الدرس التاسع: سورة التكاثر..... ٩٣

الدرس العاشر: سورة العصر..... ١٠٥

الدرس الحادي عشر: سورة الهُمَزَة ١١٧

الدرس الثاني عشر: سورة الماعون ١٣١

المقدّمة

الحمـد لله ربّ العالميـن، والصلاة والسلام على المبعـوث، رحمةً للعالمين سيّـد المرسليـن محمّد المذكّر بالقـرآن الّذي عجزت عن الإتيـان بمثله الإنسُ والجـانّ؛ ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1]، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2] والصـلاة والسـلام على آله الكرام تراجمة القرآن والهادين إلى الرحمن.

يقـول تعالى في كتابـه المجيـد ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ إشارةً منه تعالى إلـى أنّ الطريق إلى الاستقامة تمرّ عبر القرآن، فهو الوسيلة الناجعة لمـن أراد الفـلاح والنجاح، وهو السـلاح الفعّال أمام مكائـد الدهر ومعضلات العصـر، يقوى بـه المؤمنون وينجو بـه الموحّدون، لا يبلى مع مـرور الزمن، ولا يخـذل أمام المحـن؛ «**ظاهره أنيـق وباطنه عميـق. لا تفنى عجائبـه ولا تنقضي غرائبه ولا تُكشف الظلمات إلّا به**»[3].

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

(٣) من كلام للأمير عليه السلام، نهج البلاغة، ج١، ص٥٥.

ونحـن مهما حاولنا أن نحيط بفضـل القرآن فإنّ هممنا تضعف وتتثاقل أمام عظيـم مقامـه ورفيع شأنه، الّذي يحتّم علينا أن نفرد بعضـاً من أوقاتنا وأيّامنا للدراسة فيه وللبحث عن كنوزه البلاغيّة والمعنويّة والإيمانيّة والتربويّة، ولا شكّ أنّنـا إذا قمنـا بذلك فإنّ مقداراً عظيمـاً من المعارف والعلـوم سيكون بمتناول أيدينا ما يتيح لنا أن نكون فعّالين في هذه الدنيا، مستفيدين خيرها والآخرة.

ولأجـل هـذا كلّه فقد قام مركز نـون للتأليف والترجمة فـي جمعيّة المعارف الإسلاميّـة الثقافيّة بإعداد هذا الكتاب المبـارك وفيه عرض لبعض ما ورد في فضل القـرآن وآداب تلاوته، وتعرّض لبعض مقاصـده الشريفة، ثمّ تفسير عدد من صغار السور.

سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يجعل فيه الفائدة لإخواننا وأخواتنا الطلبة الباحثيـن عـن المعـارف القرآنيّة، الّذين قـال بحقّهم رسـول الله ﷺ: «**حملة القرآن في الدنيا عرفاء أهل الجنّة يوم القيامة**»[1].

اللّهـمّ تقبّـل منّا هـذا العمل واجعله لنا ذخـراً في الدنيا والآخـرة، إنّك أنت السميع العليم، والحمد لله ربّ العالمين.

مركز نون للتأليف والترجمة

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ، ج٦، ص١٦٧.

الدرس الأوّل

فضل القرآن وآداب التلاوة

أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى فضل القرآن.
- أن يتبيّن بعضاً من صفاته.
- أن يستذكر بعضاً من آداب التلاوة.

فضلُ القرآن الكريم

يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[١]

القرآن الكريم كلام الخالق عزّ وجلّ الّذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٢] فهو كتاب هداية ورحمة وبشرى للمؤمنين، الّذين يقرؤون آياته فيعقلونها ويتدبّرون في معانيها ويعملون بها، وهو كتاب شفاء لمن شاء، وكتاب معجزة خالدة يعجز الإنس والجنّ عن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. إنّه النور الّذي ينير طريقنا وعقولنا ويرشدنا إلى الحقّ.

صفات القرآن

للقرآن الكريم صفاتٌ عديدة ذكرت في منطوق الآيات الحكيمة والروايات الشريفة، ومنها:

١- **كتاب هداية**، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٣].

وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[٤].

(١) سورة يوسف، الآيتان: ٢ ـ ٣.
(٢) سورة فصّلت، الآية: ٤٢.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩.

٢. **شفاء الصدور**، قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[١].

٣. **الكتاب المعجز**، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[٢].

٤. **أفضل الكلام:** لمّا كان القرآن كلام الله عزَّ وجلَّ، فلا يقاس بكلام المخلوقين، فعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**»[٣].

٥. **رفيق المتّقين:** وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله أيضاً في خطبة المتّقين: «**وأمّا الليل فصافّون أقدامهم تالون لأجزاء القرآن، يرتّلونه ترتيلاً، يعظون أنفسهم بأمثاله ويستشفون لدائهم بدوائه...**»[٤].

٦. **عميق المعاني ومتجدّد:** فهذا هو ما وصفه به أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: «**إنّ القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه، ولا تُكشف الظلمات إلا به**»[٥].

٧. **ربيع القلوب:** والربيع رمز للحياة المتجدّدة، فالقرآن سبب لتجدّد حياة هذا الإنسان؛ فقد ورد عن الإمام عليّ عليه السلام أيضاً: «**إنّ الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل القرآن، فإنّه حبل الله المتين وسببه الأمين، وفيه ربيع القلوب وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره**»[٦].

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.
(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٨٩، ص٣٢.
(٤) م.ن، ج٢، ص١٦١.
(٥) م.ن، ج١، ص٥٥.
(٦) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٢، ص٢١٢.

كيف نستفيد من القرآن الكريم؟

إنّ من الأمور المهمّة معرفة كيفيّة الاستفادة من القرآن العظيم، وذلك يكون بمعرفة أنّ هذا الكتاب كتاب تعليم وهداية إلى الله وإلى سبيل السعادة الحقيقيّة.

فليس القرآن الكريم لتعليم الفنون الأدبيّة والنحو والصرف أو أن تأخذ منه الفصاحة والبلاغة والنكات البيانيّة والبديعيّة وليس هو لتعليم القصص والحكايات بالنظر التاريخيّ والاطّلاع على الأمم السابقة.

ثمّ إنّه ليس كتاباً نقرأه للثواب والأجر فقط ولهذا لا نعتني بغير تجويده، ونريد أن نقرأه صحيحاً حتّى يُعطى لنا الثواب، فللأسف نحن مقتنعون بهذا الحدّ، ولهذا لا يُفيدنا القرآن.

فالمطلوب إذاً التعلّم من القرآن كيفيّة السير والسلوك إلى الله وكيفيّة التخلّق بالأخلاق العالية لنصل إلى الكمال والسعادة.

فضل تلاوة القرآن الكريم

فضائل تلاوة القرآن الكريم كثيرة ولا تعدّ ولا تحصى أبداً، وقد أشارت إليها الآيات والروايات وهذه الفضائل يصل إليها الإنسان متى سلك طريق تلاوة القرآن تلاوة صحيحة، ومن هذه الفضائل:

١ - الإيمان والزيادة فيه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿...وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2].

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢١.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢.

٢- **تجارة رابحة:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾[١].

٣- **الخشية من الله:** ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾[٢].

٤- **خير ونور:** فعن النبيّ ﷺ قوله: «نوّروا بيوتكم بتلاوة القرآن... فإنّ البيت إذا كثر فيه تلاوة القرآن كثر خيره، وأمتع أهله، وأضاء لأهل السماء كما تضيء نجوم السماء لأهل الدنيا»[٣].

٥- **معين في مواجهة الشيطان:** فعن النبيّ ﷺ قوله: «ليس شيء أشدّ على الشيطان من القراءة في المصحف نظراً»[٤].

٦- **جلاء للقلوب:** فعن النبيّ ﷺ قوله: «إنّ القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، قيل: يا رسول الله وما جلاؤها؟ قال: قراءة القرآن وذكر الموت»[٥].

٧- **آثار أخرويّة لتلاوة القرآن، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً أنّه قال:** «من قرأ القرآن وهو شابّ مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله الله مع السفرة البررة وكان القرآن حجيراً (مانعاً) عنه يوم القيامة. يقول (القرآن): يا ربّ إنّ كلّ عامل قد أصاب أجر عمله غير عاملي فبلّغ به أكرم عطاياك، فيكسوه الله حلّتين من حُلل الجنّة، ويوضع على رأسه تاج الكرامة ثمّ يقال له (للقرآن) هل أرضيناك فيه؟، فيقول (القرآن) نعم»[٦].

آداب التلاوة

بعد أن تعرّفنا إلى فضل القرآن وصفاته وفضل تلاوته، نأتي على ذكر آداب

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٩.
(٢) سورة مريم، الآية: ٥٨.
(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٦١٠.
(٤) زبدة البيان، المحقق الأردبيلي، ص٩٨.
(٥) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج٢، ص١٠٤.
(٦) م.ن، ج٢، ص٦٠٤.

هـذه التلاوة الّتي ينبغي مراعاتها، مبالغةً في احترام هذا الكتاب العظيم، ومن هذه الآداب:

١- **الوضوء:** يستحبّ الوضوء عند قراءة القرآن الكريم، ولا يجوز مسّ حروفه وآياته من غير وضوء وطهارة، قال تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[١].

٢- **الاستياك:** لتنظيف الأفواه قبل التلاوة، فقد ورد عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**نظّفوا طريق القرآن، قيل: يا رسول الله وما طريق القرآن؟ قال: أفواهكم، قيل: بماذا ؟ قال: بالسواك**»[٢].

٣- **التعوّذ:** أن يفتتح التلاوة بالتعوّذ، وصيغتها: «**أَعُوذُ بالله مِنَ الشَّيطَنِ الرَّجيم**»، لقوله تعالى في سورة النحل: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[٣].

٤- **التدبّر والتفكّر:** لقد شجب القرآن الكريم أولئك الذين لا يتدبّرون القرآن: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[٤].

٥- **الإصغاء والإنصات:** عند سماع تلاوة القرآن الكريم لأنّه موجب للرحمة الإلهية، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٥].

وعن رسول ﷺ أنّه قال: «**يُدفع عن قارئ القرآن بلاء الدنيا ويُدفع عن مستمع القرآن بلاء الآخرة**»[٦].

(١) سورة الواقعة، الآية: ٧٩.
(٢) المحاسن، البرقي، ج٢، ص٥٥٨.
(٣) سورة النحل، الآية: ٩٨.
(٤) سورة محمد، الآية: ٢٤.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.
(٦) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٣، ص٢٥٣١.

٦- القراءة بصوت حسن والابتعاد عن الأصوات المنكرة والألحان الهزليّة والآلات الموسيقيّة، فقد جاء عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن»[١].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً قوله: **«زيّنوا القرآن بأصواتكم فإنّ الصّوت الحسن يزيد القرآن حسناً»**[٢].

وهناك آداب عديدة أخرى على نحو: التوجّه نحو القبلة أثناء التلاوة، رفع القرآن الكريم لمستوى الصدر، ترك الطعام أو التدخين... الدعاء عقب ختم القرآن، فإنّ فيه دعوة مستجابة. وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا ختم القرآن الكريم قال: **«اللّهمّ اشرح بالقرآن صدري واستعمل بالقرآن بدني، ونوّر بالقرآن بصري، وأطلق بالقرآن لساني، وأعنّي عليه ما أبقيتني فإنّه لا حول ولا قوّة إلا بك»**[٣].

(١) مستند الشيعة، المحقق النراقي، ج١٤، ص١٤٩.
(٢) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، ج١٥، ص٢٣.
(٣) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج٤، ص٣٧٨.

خلاصة الدرس

- القرآن الكريم كلام الخالق سبحانه الّذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ وهو كتاب هداية ورحمة وبشرى للمؤمنين.

- من صفات القرآن وفضله أنّه كتاب هداية وأفضل الكلام ورفيق المتّقين، وربيع القلوب.

- نستفيد من القرآن بمعرفة غايته الحقيقيّة وتعلّمها.

- من آثار التلاوة: الإيمان والزيادة فيه، والخشية من اللّه...

- من آداب التلاوة: الوضوء، االاستياك، التعوّذ، التدبّر، الإصغاء...

أسئلة

١- اذكر بعضاً من صفات القرآن.

٢- كيف تظهر عظمة القرآن؟

٣- تحدّث عن آثار تلاوة القرآن.

٤- عدّد آداب تلاوة القرآن.

التطبيق

إنّ من أراد أن يأخذ من القرآن الشريف الحظّ الوافر لا بدّ له من أن يطبّق كلّ آية شريفة على حالات نفسه حتّى يستفيد استفادة كاملة، مثلاً يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[1].

فلا بدّ للسالك أن يلاحظ هذه الأوصاف الثلاثة؛ هل هي منطبقة عليه، وهل قلبه يخشع ويخاف إذا ذكر الله؟ وإذا تليت عليه الآيات الشريفة هل يزداد إيماناً في قلبه؟ وهل اعتماده وتوكّله على الله تعالى؟ أو أنّه محروم من ذلك؟

فإذا كان محروماً فليسعَ لتحصيل هذه الصفات، وهكذا كلّ آية يمرّ عليها يطبّقها خارجاً، فالقرآن كتاب تطبيق لا كتاب ترتيل فحسب.

فكما أنّ خلق الرسول كان القرآن، فينبغي عليك أن يكون خلقك القرآن.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢.

الدرس الثاني

مقاصد القرآن ـ ا ـ

أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى بعضٍ من مقاصد القرآن: معرفة الله، ومعرفة الأنبياء عليهم السلام.

لقد تضمّن القــرآن الكريم المقاصد الإيمانيّة الكاملــة والحقائق الضروريّة لكمال الإنسان ورقيّه ووصوله إلى مقام القرب الإلهيّ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[1].

وفــي ما يلي نذكــر بعضاً من مقاصد القــرآن العُليا ومضامينــه الراقية الّتي تيسّر للإنسان هدايته وتقويم حياته، ومنها:

أوّلا، معرفة الله

إنّ قضيّة الألوهيّة هي موضوع العقيدة الإسلاميّة الرئيس وبالتالي فهي تشمل الحيّز الأكبر من كتاب الله تعالى.

وما نزل القرآن ليقول للناس إنّ هناك إلهاً، فإنّ الفطرة وأدنى التأمّل بالوجود باعثان على الإقرار بوجود المبدع المنظِّم.

يقول تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[2].

إنّمــا المشكلة بأنّهم لا يعرفونه حقّ المعرفــة ومن ثمّ لا يعبدونه حقّ العبادة، ومن ذا الّذي يدرك هذا المقام؛ يقول تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[3].

(١) سورة الإسراء، الآية:٩.
(٢) سورة لقمان، الآية:٢٥.
(٣) سورة الأنعام، الآية:٩١.

وعـن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**لو عرفتم الله حقّ معرفته لزايلت بدعائكم الجبال الراسيات، ولا يبلغ أحد كُنه معرفته، فقيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، الله أعلى وأجلّ أن يطلع أحد على كنه معرفته**».

ولهذا قال في دعاءه: «**يا من لا يعلم ما هو إلا هو**».

وقال: «**سبحانك ما عرفناك حقّ معرفتك**»(١).

ولعـلّ المعرفـة المقصودة هـي معرفة الذات الإلهيّة حـقّ المعرفة فمن ذا يدركها؟ أمّا معرفتـه سبحانه بصفات الجمـال والكمال فيمكن إدراكها مـن خـلال التأمّل فـي نِعَـم الله سبحانـه ومخلوقاته. ونظـام الكون الّذي أتقـن صنعـه الجبـار.

يقول تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾(٢).

وقد دعا القرآن إلى توحيد الله تعالى بما يليق بذاته وصفاته وأفعاله.

يقـول تعالـى في مقـام بيـان الصفـات: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ...﴾(٣).

ويقول سبحانه: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾(٤).

(١) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي، ج ٤، ص ١٣٢.
(٢) سورة النمل، الآية: ٨٨.
(٣) سورة الحشر، الآيات:٢٢-٢٤.
(٤) سورة الحشر، الآية:٢٤.

الاحتجاجات الإلهيّة

هـذه الدعوة لتوحيد اللّه تعالى ومعرفته بصفاتـه وأفعاله لم تكن دون دليل، فمـن يقرأ في كتاب اللّه يلاحظ أنّ القرآن يستعين في إبلاغ رسالته بلغتين هما لغة العقل ولغة القلب، فقد اعتبر القرآن العقل حجّة على العباد فدعا إلى إعماله والاستفادة منه، كما ذمّ من عطّله ولم يهتد بهداه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[1].

وقد أقام القرآن الدلائل والبراهين على مدّعياته، وتحدّى المنكرين على الإتيان ببراهيـن تنقضهـا: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[2].

وفـي الوقت الّذي يدعو فيه القرآن إلى إعمال العقل يبيّن موانع إصابة العقل للحقّ والصواب كاتّباع الظن، وتقليد الآباء واتّباع الهوى.

قال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾[3].

ويقول عـزّ من قائـل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[4].

فالقـرآن لم يدع الإنسان إلى الإيمان بغيـر دليل بل ساق أدلّة برهانيّةً عقليّة وأخرى وجدانيّة، وخاطب الفطرة الإنسانيّة.

يقـول سبحانه: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ أَنْهَـٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[5].

(١) سورة الأنفال، الآية:٢٢.
(٢) سورة البقرة، الآية:١١١.
(٣) سورة النجم، الآية:٢٣.
(٤) سورة البقرة، الآية:١٧٠.
(٥) سورة النمل، الآيتان:٦١-٦٢.

ثانياً. معرفة الأنبياء عليهم السلام

يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ ..... لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[1].

استعمل القرآن الكريم الأسلوب القصصيّ في تبليغ المفاهيم والعبر والمقاصد، لما لهذا الأسلوب من أثر كبير في القلوب، فذكر قصص بعض الأنبياء لنعتبر منهم ومن قصصهم، وليكونوا صلة وصل بين العباد وبين الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾[2].

وتشكّل القصص القرآنيّة جانباً هامّاً من النصّ القرآنيّ حتّى ورد في بعض الأحاديث أنّها ثلث القرآن، وهناك عدد كبير منها مختصّ بقصص الأنبياء عليهم السلام وتتركّز بشكل أساس في السور الّتي حمل بعضها اسم واحد من الأنبياء كسورة يونس وإبراهيم وهود وغيرها، وهذا الاستخدام الواسع لأسلوب القصّة يفيد بوضوح أنّ القصّة القرآنيّة لها مدخليّة مهمّة في تحقيق الأغراض والأهداف القرآنيّة.

كما أنّ القصّة في القرآن لا تخلو من نكات بلاغيّة، وقيمة تاريخيّة، ولمسات أدبيّة فنيّة، ودروس مستفادة من معاينة القدوة في سلوكه ومواقفه ليزداد الإنسان معرفة بالأنبياء الذين يشكلون القدوة الحسنة.

(١) سورة يوسف، الآيات: ١٠٩- ١١١ .

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

يقول الإمام الخميني قدس سره حول هذا الأمر:

«ومن مقاصد هذه الصحيفة النورانيّة قصص الأنبياء والأولياء والحكماء، وكيفيّة تربية الحقّ إيّاهم، وتربيتهم الخَلْق. فإنّ في تلك القصص فوائد لا تُحصى.. ففي قصّة خلق آدم عليه السلام والأمر بسجود الملائكة، وتعليمه الأسماء وقضايا إبليس وآدم الّتي تكرّر ذكرها في كتاب الله من التعليم والتربية والمعارف والمعالم - لمن كان ﴿لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1] - ما يحيّر الإنسان.. فليس هذا الكتاب كتاب قصّة وتاريخ بل هو كتاب السير والسلوك إلى الله، وكتاب التوحيد والمعارف والمواعظ والحِكَم»[2].

كما أنّ من الظواهر الّتي تلفت النظر في القرآن ظاهرة التكرار في القصص وغيرها حيث نجد الحديث عن نبيّ واحد في أكثر من سورة، ويبدو ذلك جليّاً في الحديث عن نبيّ الله موسى عليه السلام، وحين ننظر إلى القرآن على أنّه كتاب هداية وتربية لهذه الأمّة والبشريّة، تتوضّح لدينا حكمة ذلك؛ لأنّ التربية تحتاج إلى التذكير الدائم، وليست التربية كلاماً يقال مرّة وكفى قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

(١) سورة ق، الآية: ٣٧.
(٢) القرآن الثقل الأكبر، ص٤٠.
(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

خلاصة الدرس

لقد تضمّن القرآن الكريم المقاصد الإيمانيّة الكاملة والحقائق الضروريّة لكمال الإنسان ورقيّه ووصوله إلى مقام القرب الإلهيّ.

ومنها:

- **أوّلا، معرفة الله:** فالناس لا يعرفونه حقّ المعرفة ومن ثمّ لا يعبدونه حقّ العبادة.
- **ثانياً، معرفة الأنبياء عليهم السلام. يقول الإمام الخميني قدس سره في هذا الأمر:**

«ومن مقاصد هذه الصحيفة النورانيّة قصص الأنبياء والأولياء والحكماء، وكيفيّة تربية الحقّ إيّاهم، وتربيتهم الخلق. فإنّ في تلك القصص فوائد لا تحصى..»

أسئلة

١- ما هي المعرفة المقصودة تجاه الله سبحانه؟

٢- كيف استفاد القرآن من الاحتجاجات العقليّة، وماذا أثبت بها؟

٣- كيف عرّفنا القرآن على الأنبياء عليهم السلام؟

دور القرآن في الحياة

لا يقتصر دور القرآن الكريم على هداية الإنسان إلى طريق النجاة في الآخرة، بل دوره يرتبط بكافّة جوانب حياة الإنسان، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«إنّ هذا القرآن هو الناصح الّذي لا يغشّ، والهادي الّذي لا يضلّ، والمحدّث الّذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلّا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى ونقصان من عمى، واعلموا أنّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على بلوائكم، فإنّ فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والعمى والضلال.**

اسألوا الله به وتوجّهوا إليه بحبّه، ولا تسألوا به خلقه؛ إنّه ما توجّه العباد إلى الله بمثله. واعلموا أنّه شافع مشفّع، وقائل مصدّق وأنّه من شفع له القرآن يوم القيامة شُفّع فيه، ومن مَحلَ به القرآن يوم القيامة صدق عليه، فإنّه ينادي مناد يوم القيامة ألا إنّ كلّ حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله، غير حرثة القرآن، فكونوا من حرثته وأتباعه، واستدلّوه على ربّكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم»[1].

(١) نهج البلاغة، ج٢، ص٩٢.

الدرس الثالث

مقاصد القرآن ـ ٢ ـ

أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى بعضٍ من مقاصد القرآن: معرفة المعاد، الأخلاقيّات الإيمانيّة.

ثالثاً. معرفة المعاد وبيان أحواله

هناك جانب آخر أخذ حيزاً هامّاً من مطالب ومضمون النصّ القرآنيّ، وذلك في بيان مسألة الإيمان باليوم الآخر وإقامة الأدلّة والبراهين على إثباته.

حتّى أنّ القرآن الكريم يُلحق مسألة الإيمان باليوم الآخر في كثير من المواضع بالإيمان بالله مباشرة إثباتاً ونفياً، فيصف المؤمنين بأنّهم هم الّذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ويصف الكافرين بأنّهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر.

والقرآن في حديثه المستفيض عن المعاد أراد إثباته أوّلاً للجاحدين به والمنكرين للبعث والحساب، فساق الأدلّة النظريّة والبراهين العقليّة وأتبعها بأمور وجدانيّة يراها الإنسان بأمّ عينه.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾[1].

ثمّ ببيان حوادث جُربت في التاريخ وأورد قصّتها القرآن لمزيد يقين كقصّة أصحاب الكهف وقصّة العُزير الّذي أماته الله مائة عام ثمّ بعثه.

ولئن كان للحديث عن البعث والحساب بعض أسبابه الّتي تعود إلى إنكار العرب البات للبعث، ولكنّ بعضه الآخر كان لضرورة ترسيخ هذه العقيدة في

(١) سورة ق، الآيات:٩-١١.

نفوس المؤمنين لما لها من تأثير بالغ في سلوك الإنسان فإنّه لا شيء يُمكن أن يدفع الإنسان للتنازل عن المتاع الزائد عن الحدّ المدفوع إليه بغريزته والالتزام بالحدود الّتي رسمها الله إلّا الإيمان الجازم بأنّ ما يتركه في الدنيا طاعة لله يلقاه في الآخرة مضاعفاً، ولا يزول أبداً.

ويغدو حديث القرآن عن الآخرة بمثابة شريط حافل بالمشاهد الحيّة حتّى لكأنّ الإنسان يُخيّل إليه أنّه يراها عياناً وليست حديثاً عن المستقبل. إنّه شريط يجمع بين مشاهد العذاب ومشاهد النعيم ليختار الإنسان أيّهما شاء.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[1]

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾[2]

ويقول نعوذ بلطفه من عذابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[3].

رابعاً، الأخلاقيّات الإيمانيّة في القرآن

موضوع آخر من موضوعات القرآن الكريم ومقصد من مقاصده هو الأخلاقيّات الإيمانيّة وما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون بوحي من إيمانهم، في مقابل ما هم عليه الكافرون والفاسقون بوحي من ضلالتهم.

يقول الإمام الخميني قدس سره: «**ومن مقاصده ومطالبه الدعوة إلى تهذيب**

(١) سورة القمر، الآيتان: ٥٤- ٥٥.
(٢) سورة الإنسان، الآيات: ٢٠- ٢٣.
(٣) سورة التحريم، الآية: ٦.

النفوس وتطهير البواطن من أرجاس الطبيعة وتحصيل السعادة. وبالجملة كيفيّة السير والسلوك إلى الله تعالى، وهذا المطلب الشريف منقسم إلى شعبتين مهمّتين:

إحداهما: التقوى بجميع مراتبها المندرجة فيها التقوى عن غير الحقّ، والإعراض المطلق عمّا سوى اللّه.

وثانيهما: «**الإيمان بتمام المراتب والشؤون المندرجة في الإقبال على الحقّ، والرجوع والإنابة إلى ذاته المقدسة، وهذا من المقاصد المهمّة لهذا الكتاب الشريف وأكثر مطالبه ترجع إلى هذا المطلب إمّا بلا واسطة أو مع الواسطة**»[1].

والأخلاق ليست شيئاً ثانويّاً في هذا الدّين، كما إنّها شاملة للسلوك البشري كلّه ولا يوجد عمل واحد يخرج عن دائرة الأخلاق فالصلاة لها أخلاق هي الخشوع، والكلام له أخلاق وهو الإعراض عن اللغو، والتعامل مع الآخرين له أخلاق هي الوفاء والصدق ورعاية العهد.

وقد قال تعالى بحقّ الرسول الكريم ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]. ولكنّه أيضاً (أي الخُلق) من خصوصيّات الإيمان ومقتضياته.

وقد عُني القرآن بإبراز الجانب السلوكيّ الأخلاقيّ للعقيدة المنحرفة قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾[3].

(١) راجع: القرآن الثقل الأكبر، ص٢٩-٤٠.
(٢) سورة القلم، الآية: ٤.
(٣) سورة القلم، الآيات: ٩-١٦.

يقابل ذلك إبراز السلوك الأخلاقيّ الصحيح المصاحب للعقيدة الصحيحة: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾[1].

فالقرآن هو مفتاح سعادة الإنسان وباب فلاحه: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾[2]. وهو شفاء ورحمة لكلّ من تمسّك به، وفي ما يلي نماذج من آيات القرآن تكشف عن عمق معانيه ودقّة أفكاره في مجال نظام السير والسلوك إلى الله تعالى:

أ - العلاقة مع الله:

فالقرآن الكريم يوثّق الإيمان في القلب ويربط ذلك القلب بالله في جميع أحواله لأنّه يربط الأحوال كلّها والوجود كلّه بالله سبحانه: فالمولد والممات بيد الله، والرزق بيد الله بجميع ألوانه وأشكاله، وبيده الضرّ والنفع، ثمّ البعث والحساب والثواب والعقاب؛ أمورٌ كلّها بيد الله.

فالله تعالى في كتابه يعرّفنا بنفسه لنعرفه كما ينبغي لجلال وجهه. فهو يُعرّفنا نفسه بأنّه: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾. وأنّه ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾[3]، وأنّه ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ..﴾[4]. ليولّد في قلوبنا ذلك الإحساس برقابة الله، فنحرص على نقاوة أعمالنا ومشاعرنا.

ويعرّفنا بأنّ ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[5]. وأنّ بيده ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.
(٢) سورة طه، الآيتان: ١ ـ ٢.
(٣) سورة طه، الآية: ٧.
(٤) سورة المجادلة، الآية: ٧.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٦٣.

لنتطلّع إليه وحده في السرّاء والضراء، ولنواجه المصاعب والشدائد بالصبر والتعلق به وبفرَجه المنزَل من عنده.

ويعرّفنا بأنّه ﴿ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[1]. وأنّه ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾[2].

يعلّمنا بذلك أن لا يشغلنا القلق على الرزق وإن البشر ليسوا هم من يتصرفون في أرزاقنا، بل ذلك كلّه بيده وحده وكذلك يعرّفنا بأنّه هو الّذي يحيي ويميت، وليس هذا شأن فحسب بل هو بعدُ ملك ومالك يوم الدين.

هذا ما تقرّره هذه الآيات الكريمة وغيرها من كتاب الله ليعيش القلب آفاق معرفة الله تعالى ومنهجاً وسلوكاً، وتكون حياته كلّها مع الله.

ب- العلاقة مع الآخر:

وكما عُني القرآن بإبراز الجانب السلوكي والأخلاقي للعقيدة المنحرفة وندّد به وبأصحابه، كذلك أولى عنايةً واضحةً بإبراز السلوك الأخلاقيّ الصحيح وأفق التعاطي الصحيح مع الآخرين.

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٢ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[3].

﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾[4]

فمنطق القرآن هو ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[5]

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٦.
(٣) سورة الشورى، الآيات: ٤٠-٤٣.
(٤) سورة الممتحنة، الآية: ٨.
(٥) الأعراف، الآية: ١٩٩.

ج- الاستقامة:

ويمكن بحقّ أن نلخّص مبادئ الإسلام كلّها بكلمة الاستقامة، فإنّها الكلمة الشاملة للاستقامة في العقيدة بما فيها التوحيد عن الشبيه، والاستقامة في الأعمال والأخلاق وجميع التعاليم.

ومعنى الاستقامة هو أن نقف عند حدود الله ولا ننحرف عن الحقّ إلى الباطل وعن الهداية إلى الضلال. أن نسير بعقيدتنا وأقوالنا وأفعالنا على الصراط المستقيم، فعن الإمام علي عليه السلام قال: «**قلت: يا رسول الله أوصني، قال: قل ربّي الله، ثمّ استقم، قال: قلت: ربّي الله وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ليهنئك العلم يا أبا الحسن، لقد شربت العلم شرباً و نهلته نهلاً**»[1]

يقول تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[3].

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[4].

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[6].

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[7].

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[8].

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج٤٠، ص١٧٨.
(٢) سورة الملك، الآية: ٢٢.
(٣) سورة هود، الآية: ١١٢.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٧٩.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.
(٦) سورة الفاتحة، الآية: ٥.
(٧) سورة الكهف، الآية: ١١٠.
(٨) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

خلاصة الدرس

- من مقاصد القرآن معرفة المعاد وبيان أحواله وقد أخذ حيّزاً هامّاً من مطالب ومضمون النصّ القرآنيّ، من خلال بيان مسألة الإيمان باليوم الآخر وإقامة الأدلّة والبراهين على إثباته.

- ومنها الأخلاقيّات الإيمانيّة وما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون بوحي من إيمانهم، في مقابل ما هم عليه الكافرون والفاسقون بوحي من ضلالهم. يقول الإمام الخمينيّ قدس سره: «**ومن مقاصده ومطالبه الدعوة إلى تهذيب النفوس وتطهير البواطن من أرجاس الطبيعة وتحصيل السعادة...**»

- يرسم القرآن للإنسان خريطة للعلاقة مع الله ومع نفسه ومع الآخرين...

- ويؤكّد على أهميّة الاستقامة بوقوفنا عند حدود الله وعدم الانحراف عن الحقّ إلى الباطل.

أسئلة

١- كيف تحدّث القرآن الكريم عن المعاد؟

٢- بيّن أهميّة الأخلاقيّات الإيمانيّة في القرآن؟

٣- ماذا تعني الاستقامة، ولماذا لخَّصت مبادئ الإسلام؟

أدب تلاوة القرآن

من وظائف القراءة من الأثر (الحديث) قول الصادق عليه السلام: «من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرقّ قلبه ولم ينشىء حزناً ووجلاً في سرّه، فقد استهان بعظيم شأن الله تعالى وخسر خسراناً مبيناً، فقارىء القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء: قلب خاشع، وبدن فارغ، وموضع خال، فإذا خشع لله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[1]. فإذا تفرغ نفسه من الأسباب تجرّد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن وفوائده، وإذا اتخذ مجلساً خالياً واعتزل عن الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الأوليين: (خضوع القلب وفراغ البدن) استأنس روحه بالله عزّ وجلّ، ووجد مخاطبات الله عباده الصالحين وعلم لطفه بهم ومقام اختصاصه لهم بفنون كراماته وبدائع إشاراته، فإذا شرب كأساً من هذا الشراب فحينئذ لا يختار على ذلك الحال حالاً ولا ذلك الوقت وقتاً، بل يؤثره على كلّ طاعة وعبادة، لأنّ فيه المناجاة مع الربّ بلا واسطة فانظر كيف تقرأ كتاب ربّك ومنشور ولايتك وكيف تجيب أوامره وتجتنب نواهيه وكيف تتمثّل حدوده فإنّه كتاب عزيز ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2]، فرتّله ترتيلاً وقف عند وعده ووعيده وتفكّر في أمثاله ومواعظه واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده»[3].

(١) سورة النحل، الآية: ٩٨.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٢.
(٣) التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني، ج١، ص٧٣.

الدرس الرابع

سـورة الشـمس

أهداف الدرس

- أن يحفظ الطالب سورة الشمس المباركة.
- أن يستذكر بعضاً من معاني مفرداتها.
- أن يتبيّن بعضاً من مفاهيمها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾
وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا
﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾
إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَىٰهَا ﴿١٥﴾

شرح المفردات

١- الضحى: انتشار نور الشمس.
٢- تلاها: اتّبعها.
٣- جلّاها: أظهرها وأبرزها.
٤- يغشاها: يغطّيها أو يلبسها السواد.
٥- طحاها: بسطها ومَهَدَها.
٦- زكّاها: طهّرها.
٧- دسّاها: أخفاها أو جعلها قليلة.
٨- طغواها: طغيانها.
٩- عقروها: أهلكوها.
١٠- دمدم: عذّب وعاقب وأهلك.
١١- عقباها: عاقبتها.

محتوى السورة وفضيلتها

نزلت هذه السورة في مكّة، وهي في الواقع سورة تهذيب النفس، وتطهير القلوب من الأدران، ومعانيها تدور حول هذا الهدف. وفي مقدّمتها قسَمٌ بأحد عشر مظهراً من مظاهر الخليقة وبذات الباري سبحانه، من أجل التأكيد على أنّ فلاح الإنسان يتوقّف على تزكية نفسه. والسورة فيها من القسَم ما لم يجتمع في سورة أخرى.

وفي المقطع الأخير من السورة ذكر لقوم ثمود باعتبارهم نموذجاً من أقوام طغت وتمرّدت، وانحدرت بسبب ترك تزكية نفسها إلى هاوية الشقاء الأبديّ، والعقاب الإلهيّ الشديد.

هذه السورة القصيرة في الواقع تكشف عن مسألة مصيريّة هامّة من مسائل البشريّة، وتبيّن نظام الإسلام في تقييم أفراد البشر.

وفي فضيلة تلاوة هذه السورة يكفي أن نذكر حديثاً عن رسول الله ﷺ، قال فيه:

«**من قرأها فكأنّما تصدّق بكلّ شيء طلعت عليه الشمس والقمر**»[1].

في كنف السورة

١ - الظواهر الكونيّة والنفس الإنسانيّة:

إنّ اقتران النفس الإنسانيّة مع الظواهر الكونيّة كالشمس والقمر والأرض والسماء والليل والنهار، مع ما تتضمّنه هذه الظواهر من عظمة يدلُّ على عظمة النفس الإنسانيّة ومدى دورها في هذا الكون العظيم.

فموضوع النفس الإنسانيّة موضوع خطير وعظيم، كعظمة السماء والأرض

(١) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج١٠، ص٤٩٦.

والشمس والقمـر... فهي (أي النفس الإنسانيّة) تستحـقّ الاهتمام من الإنسان ومعرفة ما يصلحها وما يفسدها، كما أنّ هذه الظواهر تستحقّ التفكُّر.

من هنا تعمل هذه الأقسام على تحريك الفكر في الإنسان كي يُمعن النظر في هذه الموضوعات الهامّة من عالم الخليقة، وليتّخذ منها سبيلاً إلى الله تعالى.

فالشمس مثلاً: ذات دور هامّ وبنّاء جدّاً في الموجودات الحيّة على ظهر البسيطة. فهـي إضافة إلـى كونها مصدراً للنور والحرارة. وهما عامـلان أساسان في الحياة الأرضيّـة. تعتبـر مصدراً لغيرهما مـن المظاهر الحياتيّة؛ حركـة الرياح، وهطول الأمطـار، ونموّ النباتات، وجريان الأنهار والشلّالات، بل حتّى نشوء مصادر الطاقة مثل النفط والفحم الحجريّ، كلّ واحد منها يرتبط بشكل أو بآخر بنور الشمس.

ولـو قدّر لهذا المصباح الحياتيّ أن ينطفئ يوماً لساد الظلام والموت في كلّ مكان.

هذا جانب من التفكُّر في بعض ما أقسمت به هذه السورة المباركة وهو جزء بسيط جدّاً من هذا الكون الشاسع.

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1].

٢- أهمّيّة تهذيب النفس:

كلّمـا ازداد عـدد أقسام القـرآن ازدادت أهميّة الموضوع. وفـي هذه السورة المباركـة أكبـر عدد من الأقسام، ثـمّ جاء التركيز علـى أنّ النجاح والفلاح في تزكيـة النفـس، وأنّ الخيبة والخسران فـي ترك التزكية. وهذه فـي الواقع أهمّ مسألة في حياة الإنسان. والقرآن إذ يطرح هذه الحقيقة إنّما يؤكد على أنّ فلاح

(١) سورة آل عمران، الآية:١٩١.

الإنسان لا يتوقّف على جمع المال والمتاع الفاني ونيل المنصب والمقام، ولا على أعمال أشخاص آخرين كما هو معروف عند المسيحيّين بشأن ارتباط فلاح الإنسان بتضحية المسيح، بل الفلاح يرتبط بتزكية النفس وتطهيرها وسموّها في ظلّ الإيمان والعمل الصالح.

وشقاء الإنسان ليس أيضاً وليد قضاء وقدر اجباريّين، ولا نتيجة مصير مرسوم، ولا بسبب فعل هذا أو ذاك، بل هو بسبب التلوّث بالذنوب والانحراف عن مسير التقوى.

وفي التاريخ نماذج عديدة تؤكّد هذه الحقيقة.

ففي الأثر أنّ زوج العزيز -زليخا- قالت ليوسف لمّا أصبح حاكم مصر: إنّ الحرص والشهوة يصيّران الملوك عبيداً، وإنّ الصبر والتقوى يصيّران العبيد ملوكاً، فقال يوسف عليه السلام: قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وعنها أيضاً قالت لمّا رأت موكب يوسف مارّاً من أمامها: «**الحمد لله الذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيداً، وجعل العبيد بطاعتهم ملوكاً**»[2].

٣- عاقبة أمّة لم تهذّب نفسها:

الفلاح والخيبة الناتجان عن تزكية النفس وعدمها، غير مقتصرين على الإنسان الفرد، بل هذه السنّة الإلهيّة تنطبق على الأمم. والآيات الأخيرة من هذه السورة المباركة تشير إلى هذه السنّة الإلهيّة، فتتحدّث عن مصير قوم «**ثمود**» بعبارات قصيرة قاطعة ذات مدلول عميق.

(١) سورة يوسف، الآية: ٩٠.

(٢) نقلاً عن الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ج٢٠، ص٢٤٨.

فقـوم ثمود من أقدم الأقوام الّتي سكنـت منطقة جبليّة بين الحجاز والشام. كانت لهم حياة رغدة مرفّهة، وأرض خصبة، وقصور فخمة، غير أنّهم لم يؤدّوا شكـر هذه النعم، بل طغـوا وكذّبوا نبيّهم صالحاً عليه السلام، واستهـزأوا بآيات الله تعالى، فكان عاقبة أمرهم أن أُبيدوا بصاعقة سماويّة.

ثمّ تستعرض السورة المباركة مقطعاً بارزاً من طغيان القوم وتقول: إذ انبعث أشقاهـا، وأشقـى ثمود هو الّذي عقر الناقة الّتي ظهـرت باعتبارها معجزة بين القوم، وكان قتلها إعلان حرب على النبيّ صالح عليه السلام.

هـذا ويلاحظ أنّ قاتـل الناقة شخص واحـد أشارت إليـه الآية: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾.

بينما نُسـب العقر إلى قوم ثمود جميعاً ﴿فَعَقَرُوهَا﴾، وهذا يعني أنّ كلّ هؤلاء القـوم كانوا مشاركيـن في الجريمة، وذلك لأنّ هذه الجريمـة تمّت برضا القوم فهم شركاء في الجريمة بهذا الرضا.

وعـن أميـر المؤمنين علـيّ عليه السلام قال: «**إنّمـا عقـر ناقة ثمـود رجل واحد فعمّهـم الله بالعـذاب لمّـا عمّـوه بالرضـا، فقـال سبحانـه:** ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾»[1].

(١) نهج البلاغة، ج٢، ص١٨١.

خلاصة الدرس

- سورة الشمس هي سورة تهذيب النفس، وتطهير القلوب.
- موضوع النفس الإنسانيّة يساوي في أهميّته وخطورته، أهميّة وخطورة الظواهر الكونيّة الّتي أقسم الله تعالى بها في هذه السورة.
- كثرة القسم تدلّ على أهميّة موضوع التزكية، وقد خاب وخسر من تركها.
- إنّ العقاب والخسران سنّة إلهيّة ستصيب كلّ غافل عن تزكية نفسه وهذا ما جرى مع قوم ثمود.

أسئلة

١- ماذا يراد من تزكية النفس؟
٢- ماذا تعرف عن ناقة نبيّ الله صالح عليه السلام؟
٣- ما هي المناسبة في ذكر قصّة الناقة؟
٤- اقتران النفس مع الأقسام بمظاهر كونيّة ماذا يعني؟ وما هي أهمّيّة الشمس؟
٥- اذكر الحادثة التاريخيّة الّتي تدلّ على أهمّيّة تهذيب النفس؟

كلام الإمام الخميني قدس سره حول تزكية النفس

إعلم أنّ الإنسان أعجوبة، وله نشأتان وعالمان: نشأة ظاهريّة ملكيّة دنيويّة وهي بدنه، ونشأة باطنيّة غيبيّة ملكوتيَّة وهي من عالم آخر. ولنفس الإنسان وهي من عالم الغيب والملكوت مقامات ودرجات قسَّموها بصورة عامّة إلى سبعة أقسام حيناً، وإلى أربعة أقسام حيناً آخر وحيناً إلى ثلاثة أقسام وحيناً إلى قسمين. ولكلّ من المقامات والدرجات جنود رحمانيّة وعقلانيّة تجذب النفس نحو الملكوت الأعلى وتدعوها إلى السعادة، وجنود شيطانيّة وجهلانيّة تجذب النفس نحو الملكوت السفليّ وتدعوها للشقاء. ودائماً هناك جدال ونزاع بين هذين المعسكرين. والإنسان هو ساحة حربهما، فإذا تغلّبت جنود الرحمن كان الإنسان من أهل السعادة والرحمة وانخرط في سلك الملائكة وحشر في زمرة الأنبياء والأولياء والصالحين.

وأمّا إذا تغلّب جند الشيطان ومعسكر الجهل، كان الإنسان من أهل الشقاء والغضب، وحشر في زمرة الشياطين والكفّار والمحرومين.

إعلم أنَّ مقام النفس الأوّل ومنزلها الأسفل، هو منزل الملك والظاهر وعالمهما. وفي هذا المقام تتألّق الأشعّة والأنوار الغيبيّة في هذا الجسد المادّيّ والهيكل الظاهريّ، وتمنحه الحياة العرضيّة، وتجهّز فيه الجيوش، فكأنّ ميدان المعركة هو نفس هذا الجسد، وجنوده هي قواه الظاهريّة الّتي وجدت في الأقاليم الملكيّة السبعة، يعني: «**الأذن والعين واللسان والبطن والفرج واليد والرجل**». وجميع هذه القوى المتوزّعة في تلك الأقاليم السبعة هي تحت تصرف النفس في مقام الوهم. فالوهم سلطان جميع القوى الظاهريّة والباطنيّة للنفس، فإذا تحكّم الوهم على تلك القوى سواء بذاته مستقلاً أو بتدخّل الشيطان، جعلها أي

تلك القوى جنوداً للشيطـان، وبذلك يجعل هذه المملكة تحت سلطان الشيطان، وتضمحـلّ عندها جنود الرحمن والعقـل، وتنهزم وتخرج من نشأة الملك وعالم الإنسـان وتهاجر عنه، وتصبـح هذه المملكة خاصّة بالشيطـان. وأمّا إذا خضع الوهم لحكـم العقل وكلاهما خضعا لحكم الشرع وكانـت حركاتهما وسكناتهما مقيّـدة بالنظـام والعقـل والشرع، فقـد أصبحت هـذه المملكة مملكـةً روحانيّة وعقلانيّة، ولم يجد الشيطان وجنوده محطّ قدم لهم فيها.

إذاً، فجهـاد النفـس وهو الجهاد الأكبر الّذي يعلو علـى القتل في سبيل الحقّ تعالى) هوفي هذا المقام عبارة عن انتصار الإنسان على قواه الظاهريّة، وجعلها تأتمر بأمر الخالق، وتطهير المملكة من دنس وجود قوى الشيطان وجنوده[1]...

(١) الأربعون حديثاً، ص٢٩.

الدرس الخامس

سورة الليل

أهداف الدرس

- أن يحفظ الطالب سورة الليل المباركة.
- أن يستذكر بعضاً من معاني مفرداتها.
- أن يتبيّن بعضاً من مفاهيم آياتها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾
فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ
﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا
لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى
﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا
لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

شرح المفردات:

١- يغشى: يغطّي.
٢- تجلّى: ظهر.
٣- شتّى: مختلف ومتنوّع.
٤- اليسرى: العمل الصالح.
٥- استغنى: طلب الغنى.
٦- العسرى: التعب والنصب والشقاء.
٧- يغني: يقي ويحمي.
٨- تردّى: هلك وسقط في العذاب.
٩- تلظّى: تشتعل وتتوهّج.
١٠- يتزكّى: يتطهّر.

سبب النزول

هـذه السورة مكّيّة، وقيل في سبـب نزولها إنّ هذه السورة نزلت في رجل كان لـه شجر نخل كثير. ومـن تلك الأشجار نخلة مائلة تطـلّ بفرعها على بيت فقير ذي عيـال. فكان الرجل يمنع عياله (الفقيـر) من أخذ ما يسقط من النخلة في الـدار، وإذا أكل أحدهم شيئاً منهـا أدخل إصبعه في فيه وأخرجه. فشكا الفقير إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

فعرض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على الرجل أن يعطيه مقابل ذلك نخلة في الجنّة فرفض. إلّا أنّ أحد المؤمنين اشتراه منه بأربعين نخلة وقام بإعطاء تلك النخلة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الّـذي بادر إلى بيـت الفقير ليعلمه بـأنّ النخلة أصبحت ملكـه، فأنزل الله هذه السورة[1].

محتوى السورة وفضيلتها

هذه السورة تحمل كلّ خصائص السور المكيّة من قِصَر في الآيات، وحرارة في طرح المحتوى، وتركّز أساساً على القيامة وعلى ما في ذلك اليوم من ثواب وعقاب.

بعـد القسم بثلاث ظواهر في بداية السورة يأتـي تقسيم الناس إلى منفقين متّقيـن، وبخلاء منكرين. وتذكـر عاقبة كلّ مجموعة؛ اليسـرُ والسعادة والهناء للمجموعة الأولى، والعسرُ والضنك والشقاء للمجموعة الثانية.

وفـي مقطع آخر مـن السورة إشارة إلـى أنّ الهداية علـى الله سبحانه، وأنّه تعالى أنذرهم من نار جهنّم.

ثـمّ تذكـر السورة في نهايتها مـن يدخل هذه النار ومن ينجـو منها، مع ذكر أوصاف الفريقين.

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٠١.

في فضيلة تلاوة هذه السورة ورد عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**من قرأها أعطاه الله حتّى يرضى، وعافاه من العسر ويسّر له اليسر**»[1].

في كنف السورة

في هذه السورة المباركة استفادات عديدة:

١- **أنّها كما السورة السابقة:** «**سورة الشمس**» تحفِّز العقل والتفكير الإنسانيّ على النظر والتأمّل في الظواهر الكونيّة، ولا يمرُّ عليها مروراً لا فائدة فيه.

فإنّ من المعروف أنّ الشيء الّذي تراه دائماً يفقد الاهتمام والاعتناء، فالشمس مثلاً الناس يمرّون عليها ولا يعرفون قيمتها لأنّها دائماً في وجههم، وكذا الليل والنهار، فلذلك اعتادوا على هذه الظواهر ولم يعيروها التأمُّل، مع ما تحمل لهم ولاستقرارهم على الأرض من أهمّيّة.

هذه السورة كغيرها من السور الّتي تأتي على ذكر الظواهر الكونيّة تريد للإنسان أن ينظر إلى أبعد من أفق ذاته، ولا يحشر نفسه في محدوديّتها، وبذلك تكون نظرته شموليّة للكون، فيتّسع أفق تفكيره ويكبر.

كما أنّ التفكّر في عظمة الظواهر الكونيّة «**المعلول، المخلوق**» يدلُّنا على عظمة موجدها «**العلّة، الخالق**»، وبذلك تنتعش النفس الإنسانيّة بالإيمان والتقوى والصلاح والطمأنينة.

٢- **الذكر والأنثى:** السورة المباركة أيضاً تُلفت إلى ازدواجيّة الحياة الإنسانيّة، وأنّ هناك أنثى وذكراً، رجلاً وامرأة، ولكلٍّ منهما قيمته عند الله، فلولا الرجل ما كانت المرأة، ولولا المرأة ما كان الرجل، ولا عمرت

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٤٩٩.

الأرض بسكّانها. فالمرأة والرجل شريكان في هذه الحياة، وعلى كلٍّ منهما أن يقوم بدوره وأن يأخذ حقّه ويعطي الحقّ للآخر.

والمراجع للتاريخ يرى أنّ الإنسانيّة ظلمت المرأة عند كلّ مفصل ابتعدت فيه عن الرسائل الإلهيّة.

فمثلاً عند عرب الجاهليّة لم يكن للمرأة وزن، وكانت لا ترث، وزواجها يرجع إلى أمر وليّها من دون أن يكون لها حقّ الاعتراض ولا المشورة، حتّى أنّ الولد يمنع أرملة أبيه من الزواج.

وكانت المرأة تُمنع من الزواج إلّا من قريبها لوجود حقّ الدم عليها. وكانوا يفرحون إذا ولد لهم ولد ذكر، ويغتمّون إذا ولد لهم أنثى، إلى حدٍّ وأد البنات ودفنهنّ حيّات، كما يذكر القرآن الكريم في عدّة آيات:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[1].

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾[2].

ففي التوراة المحرّفة: «**درت أنا وقلبي لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمةً وعقلاً، ولأعرف الشرّ أنّه جهالة، والحماقة أنّها جنون، فوجدت أمرّ من الموت المرأة الّتي هي شباك، وقلبها أشراك، ويداها قيود،... رجلاً واحداً بين ألف وجدت أمّا امرأة فبين كلّ أُولئك لم أجد**»[3].

ولم ينحصر الظلم بعرب الجاهليّة بل حتّى بعض الفلاسفة ظلموا المرأة بآرائهم، يقول الفيلسوف «روسّو»: «**إنّ المرأة لم تُخلق للعلم ولا للحكمة ولا للتفكير ولا للفنّ ولا للسياسة، وإنّما خلقت لتكون أمّاً تغذّي أطفالها بلبنها**».

(١) سورة النحل، الآية:٥٨.

(٢) سورة التكوير، الآيتان: ٨ ـ ٩

(٣) انظر: سفر الجامعة، الإصحاح السادس من العهد القديم.

هـذا كلّه بخـلاف الإسلام الّذي رفع من قيمة المـرأة وعرّفها حقيقتها وأكّد مسؤوليّتهـا كما الرجل، في كثير مـن آيات القرآن، ومنها هذه الآيات: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾.

كلّ ذلك يشمل الذكر والأنثى، فكلاهما مسؤول وكلاهما مثاب أو معاقب.

لذلك يقول تعالى مؤكّداً مسؤوليّة المرأة، وقدرتها على التكامل الإنساني كما الرجل:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

إلى غير ذلك من الآيات الّتي تشير إلى هذه الحقيقة.

٣- **الهداية والإرادة:** فقولـه تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ يشيـر إلى حريّة الإرادة الإنسانيّـة ذكراً كان الإنسان أو أنثى، وكون الإنسان مريداً مختاراً للطريق الّذي يسلكه إمّا التقى فالجنّة وإمّا التكذيب للّه ورسوله فالنار.

ثم إنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾.

إشـارة إلى أنّ اللّه تعالى لم يترك الإنسان دون أن يُعطيه سبل الهداية، حيث خلقه عاقلاً مختاراً، وأرسل له الرسل وأنزل الكتب الإلهيّة، لا سيّما خاتم الرسل محمّد ﷺ، وخاتمة الرسالات الإسلام العظيم، والقرآن الحكيم.

(١) سورة الأحزاب، الآية:٣٥.

خلاصة الدرس

- تركّز سورة الليل على القيامة وما فيها من ثواب وعقاب.

- تحفّز هذه السورة المباركة العقل والفكر على التأمّل في الظواهر الكونيّة واستخلاص النتائج والعِبَر.

- لفتت هذه السورة إلى ازدواجيّة الحياة الإنسانيّة المؤلّفة من ذكر وأنثى، متابعة لمنهج الرسالات السماويّة وخاصّة الإسلام الّذي عرّف حقيقة الوجود الأنثويّ وأكّد مسؤوليّة المرأة في الحياة وقيمتها كما الرجل.

- أشارت الآيات الواردة فيها إلى حريّة الإرادة الإنسانيّة واختيار الإنسان للطريق الّذي يسلكه.

أسئلة

١- ما معنى قوله سبحانه: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾.

٢- تتحدث السورة عن مجموعتين من الناس، تحدّث عنهما تفصيلاً.

٣- فسّر قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾.

٤- كيف تصوِّر وضع المرأة تاريخيّاً؟ وماذا فعل الإسلام لها؟

٥- كيف تستفيد من السورة الهداية والإرادة؟

نخلة في الجنّة

روي عن ابن عبّاس في نزول هذه السورة: «أنّ رجلاً كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال، وكان الرجل إذا جاء فدخل الدار وصعد النخلة ليأخذ منها التمر، فربّما سقطت التمرة فيأخذها صبيان الفقير، فينزل الرجل من النخلة حتّى يأخذ التمر من أيديهم، فإن وجدها في فيه أحدهم أدخل إصبعه حتّى يأخذ التمرة من فيه. فشكا ذلك الرجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وأخبره بما يلقى من صاحب النخلة.

فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إذهب.

ولقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صاحب النخلة فقال: تعطيني نخلتك المائلة الّتي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنّة؟

فقال له الرجل: إنّ لي نخلاً كثيراً، وما فيه نخلة أعجب إليَّ تمرة منها.

قال: ثمّ ذهب الرجل.

فقال رجل كان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله أتعطيني ما أعطيت الرجل نخلة في الجنّة إن أنا أخذتها؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: نعم.

فذهب الرجل ولقي صاحب النخلة فساومها منه فقال له: أشعرت أنّ محمّداً أعطاني بها نخلة في الجنّة فقلت له يعجبني تمرتها وإنّ لي نخلاً كثيراً فما فيه نخلة أعجب إليَّ تمرة منها؟

فقال له الآخر: أتريد بيعها؟

فقال: لا إلّا أن أُعطى ما لا أظنّه أعطى.

قال: فما مُناك؟

قال: أربعون نخلة.

فقال الرجل: جئت بعظيم، تطلب بنخلتك المائلة أربعين نخلة؟!

ثمّ سكت عنه، فقال له: أنا أعطيك أربعين نخلة.

فقال له: أَشْهِدْ إن كنت صادقاً.

فمرّ إلى أناس فدعاهم فأشهد له بأربعين نخلة، ثمّ ذهب إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله إنّ النخلة صارت في ملكي، فهي لك.

فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار، فقال له: النخلة لك ولعيالك. فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ...﴾»[1].

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٠١.

الدرس السادس

سـورة الانشـراح

أهداف الدرس

- أن يحفظ الطالب سورة الانشراح المباركة.
- أن يستذكر بعضاً من معاني مفرداتها.
- أن يتبيّن بعضاً من مفاهيم آياتها الكريمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾
وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ
﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

شرح المفردات:

١- نشرح: **نبسط.**

٢- الوزر: **الحمل الثقيل.**

٣- أنقض: **أثقل أو كسر.**

٤- العسر: **الشدّة والضيق.**

٥- اليسر: **الراحة.**

٦- النصب: **التعب.**

محتوى السورة وفضيلتها

نزلت هذه السورة في مكّة، والمعروف أنّها نزلت بعد سورة «**الضحى**»، ومحتواها يؤيّد ذلك، لأنّها تسرد أيضاً قسماً من الهبات الإلهيّة للرسول الأكرم ﷺ.

فـي سورة الضحى عرضـ لثلاث هبات إلهيّة بعضها مـادّيّ وبعضها معنويّ، وفـي هذه السورة ذكر لثلاث هبـات أيضاً غير أنّ جميعها معنويّ. وتدور السورة بشكل عامّ حول ثلاثة محاور:

الأوّل: بيان النعم الثلاث: شرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر.

الثاني: تبشير النبيّ ﷺ بزوال العقبات أمام دعوته.

والثالث: الترغيب في عبادة الله الواحد الأحد.

ولذلـك ورد عن أهل البيـت عليهم السلام ما يدّل أنّ هاتين السورتين سورة واحدة كما ذكرنـا، وأوجب قراءتهما معاً في الصلاة لوجـوب قراءة سورة كاملة بعد الحمـد.

وبشأن مـكان نزول السورة، يتبيّن أنّها نزلت فـي مكّة، ولكنّ آية: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾. حـدث ببعض الباحثين إلـى الاعتقاد أنّها نزلت في المدينة، حيث ارتفع ذكـر النبـيّ ﷺ وشاع صيته فـي كلّ مكان. وليـس هذا الدليل بتـامّ، لأنّ النبيّ الأكرم ﷺ ذاع صيته قبل الهجرة رغم كلّ العقبات والمشاكل وكان الحديث عن دعوتـه على الألسن فـي جميع المحافل، كما أنّ خبر الدعـوة انتشر في الحجاز عامّـة والمدينة خاصّة من خـلال الوافدين على مكّة في موسـم الحجّ، كما من المحتمل القـول إنّ النبيّ ﷺ رُفع من شأنه ومكانته بمجرّد حمله لهذه الرسالة الشريفـة مـن الله تعالـى، أو بجريان ذكره علـى ألسن الأنبياء قبلـه وأنّه النبيّ الخاتم الّذي تُختم به رسالات السماء لأهل الأرض.

في فضيلة هذه السورة ورد عن النبيّ الأكرم ﷺ أنّه قال:

«من قرأها أُعطيَ من الأجر كمن لقي محمّداً مغتمّاً ففرّج عنه»[1].

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٠٧.

في كنف السورة

سورة الإنشراح المباركة فيها العديد من الاستفادات، منها:

١- شرح الصدر:

مسألة شرح الصدر وردت في العديد من الآيات القرآنيّة، ففي سورة الأنعام، الآية/١٢٥، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

وفي سورة النحل، الآية/١٠٦، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾.

وفي سورة طه، الآية/٢٥، بخصوص دعاء النبيّ موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾.

وفي سورة الزمر، الآية/٢٢، قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ﴾.

وفي هذه السورة (الانشراح): ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾.

وهنا نقف على بعض الاستفادات من هذه الآيات:

أ- الهداية وشرح الصدر في الإسلام:

فآية الأنعام/١٢٥، وآية الزمر/٢٢، تشيران بوضوح أنّ الله يهدي وينير طريق من شرح صدره للإسلام وآمن بعقيدته (بالله تعالى وبالأنبياء ومنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واليوم الآخر يوم الجزاء)، أمّا من شرح صدره للكفر (النحل/١٠٦)، وضلَّ عن الإسلام فهو ضيِّق الصدر.

وهذه حقيقة ترونها بوضوح إذا قارنتم بين المسلم الّذي شرح صدره للإسلام بكلّ تعاليمه، وبين الكافر أو المنافق أو الفاسق الّذين أقفلوا صدورهم عن الإسلام.

فالصنف الأوّل، منشرح الصدر والعقل، مطمئنّ الروح، مستقرّ النفس، والصنف الثاني، ضيّق الصدر والفكر، قلق الروح، خائف النفس، وهذه حقيقة لا شكّ فيها.

ولا نريد أن نأتي بتقارير عن المأزق والضيق الروحيّ والنفسيّ والعقليّ والحياتيّ الّذي يعيش فيه الصنف الثاني، فالتقارير كثيرة تملأ صفحات الجرائد والمجلّات، فهذا يَقتل، وذاك ينتحر، وآخر مريض نفسيّاً في المصحّات، إلى آخر الأوبئة الفرديّة والاجتماعيّة.

ب- المقصود من «الصدر»:

هنا هو الروح والفكر. وهذه الكناية ترد كثيراً. والمقصود من «**الشرح**» هو اتّساع الروح وارتفاع الفكر وانفساح أفق العقل البشريّ، لأنّ تقبّل الحقّ يستدعي التنازل عن الكثير من المصالح الشخصيّة، ممّا لا يقدر عليه إلّا ذوو الأرواح العالية والأفكار السامية.

ج- معجزة قرآنيّة علميّة:

ثبت اليوم علميّاً أنّ الهواء المحيط بالأرض مضغوط وصالح لتنفّس الإنسان، ولكنّنا كلّما ارتفعنا قلّت كثافة الهواء ونسبة وجود الأوكسجين فيه، بحيث إنّنا إذا ارتفعنا بضعة كيلومترات أصبح من الصعب أن نتنفّس بسهولة (بغير قناة الأوكسجين)، وإذا ما واصلنا صعودنا ازداد ضيق تنفّسنا وأصبنا بالاغماء. إن ذكر هذا التشبيه في سورة (الأنعام/١٢٥)[1]، وفي زمن نزول القرآن، قبل أن تثبت هذه الحقيقة العلميّة، يُعتبر واحداً من معجزات القرآن العلميّة.

(١) يقول تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾

د- في خصوص الآية ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ في سورة الانشراح:

بعد أن عرفنا أهمّيّة شرح الصدر للإسلام، ومدى ضرورتها للإنسان المسلم لهدايته وارتقائه الفكريّ والمعنويّ، نعلم مدى أهميّة ذلك للأنبياء والرسل، حيث كلّما كان دور الإنسان أعظم كانت الحاجة إلى شرح الصدر أعظم.

لذلك نرى النبيّ موسى عليه السلام يدعو ربَّه، عندما أمره بالذهاب إلى فرعون ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾[1].

فلا يمكن لقائد كبير أن يجابه العقبات دون انشراح الصدر. ومن كانت رسالته أعظم (كرسالة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم) كانت الضرورة لشرح صدره أكبر.

والمتمعّن في حياة الأنبياء وخاصّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الّذي قال: «**ما أوذي نبيّ مثل ما أوذيت**»[2]، يرى مدى تحمّلهم لأقوامهم وصبرهم على أذاهم، وكلّ ذلك بعون الله وتوفيقه.

٢- رفع الذكر:

يفهم كثير من الناس الإسلام فهماً خاطئاً، فمثلاً: بعض الناس يحسب أنّ الإسلام يحبس الإنسان في ذاته، ويكبت طموحاته حتّى ولو كانت شريفة، ولا يرضى للإنسان أن يكون مشهوراً بالمطلق. هذه النظرة ينفيها العديد من الآيات ومنها هذه الآية، حيث عدّ الله من النعم على رسول الله «**رفع الذكر**» الّذي يعني الاشتهار بالذكر المرتفع الحسن.

فلا ضير أن يكون المؤمن مشهوراً بالفكر الواسع، والأخلاق الحسنة، والفضائل الكريمة، طالما أنّها في رضا الله لا رضا الذّات.

(١) سورة طه، الآيتان:٢٥-٢٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب، ج٣، ص٤٢.

فهذا محمّـد ﷺ الفقير اليتيم أصبح رسول الله، فاسمه مع الإسلام والقرآن قـد مـلأ الآفاق، وأكثر من ذلـك اقترن اسمه باسم الله سبحانـه في الأذان يرفع صباح مساء على المآذن، والشهادة برسالته لا تنفكّ عن الشهادة بتوحيد الله...

وفي الفضائل والمكارم والذكر الحسن فليتنافس المتنافسون.

٣- إنّ مع العسر يسراً:

هذه الحقيقة ينبغي أن تظلّ في القلوب، خاصّة عند الضيق والمشاكل والمتاعب والفقـر. لقد أكّد الله تعالى هذه الحقيقة مرّتيـن، فلن يبقى الفرد ولا الأمّة على حالـة الضيـق، فإنّ مع الضيق سعةً، ومع الفقر غنىً، ومـع الشدّة فرجاً، وهذا ما نتعلّمـه من حيـاة رسول الله ﷺ والمسلمين الأوائل الّذيـن كانوا في أشدّ ضيق، من الحصار الاجتماعيّ والاقتصاديّ والنفسيّ، فأشرق الفرج من بعد العسر.

فالآيـة تؤكّـد صفة التفاؤل فـي نفس المؤمـن، وتبعد عنه هواجـس التشاؤم والقلق.

٤- العمل الدائم والاعتماد على الله تعالى:

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾.

ذكر المفسّرون لتفسير الآيتين معاني، منها:

إذا فرغت من فريضة الصلاة فادع الله واطلب منه ما تريد.

أو عند فراغك من أمور الدنيا ابدأ بأمور الآخرة والصلاة وعبادة الربّ.

أو عند فراغك من الواجبات توجّه إلى المستحبّات الّتي حثّ الله عليها.

أو عند فراغك من جهاد الأعداء انهض إلى العبادة.

أو عند فراغك من جهاد الأعداء ابدأ بجهاد نفسك.

أو عند انتهائك من أداء الرسالة انهض لطلب الشفاعة.

أو كما عن الحسكانيّ، حيث روى عن الإمام الصادق عليه السلام في «**شواهد التنزيل**» في تفسير الآية: «**إذا فرغت فانصب عليّاً بالولاية**»[1].

أو كما عن القرطبيّ في تفسيره حيث روى عن بعضهم أنّ معنى الآية: إذا فرغت فانصب إماماً يخلفك.

ولكن كلّ هذه المعاني يجمعها معنى عامّ، وهدفها أن تحثّ المسلمين على عدم الخلود إلى الراحة، وتدعوه إلى السعي والعمل الدائم، اعتماداً واتّكالاً على الله تعالى.

(١) راجع: شواهد التنزيل، الحاكم الحسكانيّ، ج٢، ص٤٥١، ح١١١٦ إلى ١١١٩.

خلاصة الدرس

– لقد بيّنت سورة الانشراح ثلاث نِعَم على النبيّ ﷺ، وبشّرته بزوال العقبات أمام دعوته، ودعت إلى عبادة الله والرغبة إليه.

– يهدي الله تعالى إليه من شرح صدره متقبّلاً للإسلام ومعتقداً بما أمر به النبيّ ﷺ، ومثل هذا يكون مطمئنّاً مستقرّاً راضياً، أمّا من ضاق صدره بالإسلام وشرح للكفر صدراً فإنّ حياته تكون في قلق واضطراب دائمين.

– لا ضير أن يكون المؤمن مشهوراً بأخلاقه الحسنة وصفاته الحميدة طالما أنّها في رضا الله لا رضا الذات.

– تؤكّد السورة على صفة المؤمن من المتفاءل لا المتشائم.

– ينبغي للمؤمن أن تكون حياته في سعي دائم.

– ينبغي فيه رضا الله سبحانه.

أسئلة

١– لماذا تكرّرت الآية ﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾ مرّتين؟

٢– ما هو المقصود من شرح الصدر؟

٣– اذكر المعجزة القرآنيّة الّتي نبّهت إليها سورة الإنشراح.

٤– هل الشهرة مذمومة مطلقاً؟

٥– ما الّذي تؤكّده آية ﴿مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾؟

الأشدّ عبادة

عـن سليمان بن معلّى بن خنيس، عن أبيه، قال: سأل أبو عبد الله عليه السلام عن رجلٍ وأنا عنده فقيل له: أصابته الحاجة.

قال: فما يصنع اليوم؟

قيل: في البيت، يعبد ربّه.

قال: فمن أين قوته؟

قيل: من عند بعض إخوانه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام:

«**والله لَلَّذي يقوته أشدُّ عبادة منه**»[1].

العقل

أثنى قوم بحضـرة الرسول الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم على رجلٍ حتّى ذكروا جميع خصال الخير.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**كيف عقل الرجل**»؟

فقالوا: يا رسول الله! نخبرك عنه باجتهاده في العبادة وأصناف الخير تسألنا عن عقله؟

فقـال صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ الأحمـق يُصيب بحمقـه أعظم من فجور الفاجـر وإنّما يرتفع العباد غداً في الدرجات وينالون الزُّلفى من ربّهم على قدر عقولهم**»[2].

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٠٨.

(٢) مجمع البيان، ج٥، ص٥٣.

الدرس السابع

سـورة القدر

أهداف الدرس

- أن يحفظ الطالب سورة القدر المباركة.
- أن يستذكر بعضاً من معاني مفرداتها.
- أن يتبيّن بعضاً من مفاهيمها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

شرح المفردات:

١- **ليلة القدر:** هي ليلة يقدِّر الله فيها مصير البشر وتعيَّن فيها مقدَّراتهم.

٢- **الروح:** مخلوق عظيم يفوق الملائكة[١].

(١) وقيل إنّه جبرائيل.

محتوى السورة وفضيلتها

محتـوى السورة كمـا هو واضح من اسمها بيان نزول القـرآن الكريم في ليلة القدر، وبيان أهمّيّة هذه الليلة وبركاتها.

وحـول مكان نزولها في مكّـة أو المدينة، المشهور بيـن المفسرين أنّها مكّيّة واحتمـل بعضهم أنّها مدنيّة، لمـا روي أنّ النبيّ ﷺ رأى فـي منامه «**بني أميّة**» يتسلّقـون منبره، فصعب ذلك عليه وآلمه، فنزلـت سورة القدر تسلية له (لذلك قيل إنّ ألف شهر في السورة هي مدّة حكم بني أميَّة). ونعلم أنّ منبر النبيّ أقيم في مسجد المدينة لا في مكّة[1].

لكنّ المشهور كما قلنا أنّها مكّيّة. وقد تكون الرواية من قبيل التطبيق لا سبباً فـي النـزول. ويكفي في فضيلـة تلاوتها ما روي عن النبيّ ﷺ قـال: «**من قرأها أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر**»[2].

وعـن الإمام محمّد بـن عليّ الباقرّ عليه السلام قال: «**مـن قرأ إنّا أنزلنـاه بجهر كان كشاهر سيفه في سبيل الله، ومن قرأها سرّاً كان كالمتشحّط بدمه في سبيل الله**»[3].

وواضـح أنّ كلّ هـذه الفضائل في التلاوة تزداد وتتأكّـد لمن يقرأها ويفهمها ويعمل بها؛ أي من يقدّر القرآن حقّ قدره ويطبّق آياته في حياته.

في كنف السورة

١ - ليلة القدر والقدر:

في الإسلام العظيم اهتمام ببعض الأمكنة والأزمنة، فلقد جعل بعضها مباركاً لخصوصيّـة فيها عـن غيرها، فمثلاً بـارك المسجد الحرام والكعبـة المكرّمة

(١) روح المعاني، ج٣٠، ص١٨٨ و«الدر المنثور»، ج٦، ص٣٧١.
(٢) مجمع البيان، ج١٠، ص٥١٦.
(٣) م.ن..

والمسجد الأقصى، وبارك شهر رمضان وعظّم الأشهر الحرم (ذي القعدة، ذي الحجّة، رجب، محرّم) وبارك ليلة القدر الّتي أنزل فيها القرآن العظيم: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾.

٢- وجه التسمية بليلة القدر:

أمّا بخصوص تسميتها بليلة القدر فقد قيل في ذلك الكثير ولكنّ أشهر الأقوال:

إنّها الليلة الّتي تعيّن فيها مقدّرات العباد لسنة كاملة، كما يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[١].

وقد ورد في بعض الروايات: في هذه الليلة تعيّن مقدّرات الناس لسنة كاملة، وهكذا أرزاقهم، ونهاية أعمارهم، وأمور أخرى تُفرق وتبيّن في هذه الليلة المباركة.

٣- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾:

يقول تعالى في سورة الدخان: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ الليلة المباركة كما ذكر المفسّرون[٢] هي ليلة القدر، أنزل الله القرآن فيها إلى البيت المعمور[٣] جملة واحدة، ثمّ نزل من البيت المعمور على رسول الله ﷺ في طول عشرين سنة[٤]. وفي هذه الليلة يقدّر الله كلّ أمر من الحقّ والباطل وما يكون في تلك السنة، يقدّم ما يشاء ويؤخّر

(١) سورة الدخان، الآيتان: ٣ ـ ٤.

(٢) راجع: التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني، ج ٢، ص ١١٥٠.

(٣) يقول الشيخ المفيد: جاء في الحديث أنّ الله تعالى خلق بيتاً تحت العرش سمّاه البيت المعمور تحجّه الملائكة في كلّ عام، وخلق في السماء الرابعة بيتاً سمّاه الضراح وتعبّد الملائكة بحجّه والتعظيم له والطواف حوله وخلق البيت الحرام في الأرض وجعله تحت الضراح. تصحيح اعتقادات الأمامية، ص ٧٨.

(٤) راجع: الأمالي للصدوق، ص ١١٩، رواية عن الصادق عليه السلام.

ما يشاء، من الآجال والأرزاق، والبلايا والأعراض والأمراض. وعن حمران بن أعين أنّه سأل أبا جعفر الباقر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ قال عليه السلام: «**نعم، ليلة القدر، وهي في كلّ سنة في شهر رمضان في العشر الأواخر، فلم ينزل القرآن إلّا في ليلة القدر، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ قال عليه السلام: يقدّر في ليلة القدر كلّ شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل، خير وشرّ وطاعة ومعصية ومولود وأجلٌ ورزق، فما قدّر في تلك السنة وقضي فهو المحتوم، ولله عزّ وجلّ المشيئة**».

قال حمران: قلت: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أيّ شيء عنى بذلك؟ قال عليه السلام: «**العمل الصالح فيها من الصلاة والزكاة وأنواع الخير، خيرٌ من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، ولولا ما يضاعف الله تبارك وتعالى للمؤمنين ما بلغوا، ولكنّ الله يُضاعف لهم الحسنات**»[1].

٤- الله لم يقطع الصلة بخلقه (المدد الغيبي):

في سورة القدر تأكيد على أنّ الله تعالى لم يخلق الخلق ثمّ تركهم، بل هو يقدّر شؤونهم ويتابع أمورهم، ويرسل الملائكة إلى الأرض لتدبير أحوالها ومن عليها، وهذا تسلية لقلوب المؤمنين، فليس الأمر كما قالت المفوِّضة، أو كما قالت اليهود: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ...﴾[2]، وهذا كناية عن كمال القدرة بحيث أنّ كلّ ما يحدث على وجه الأرض وفي العالم هو من إنفاقه سبحانه وكلّ وجود يحصل فإنّما هو من خزائنه.

والآيات في الكتاب الكريم كثيرة، وهي تؤكّد أنّ الله عليم بخلقه، ومتابعٌ لشؤونهم

(١) الكافي، الكليني، ج ٤، ص ١٥٧.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

يقول تعالى:

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾[1].

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[2].

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[3].

إلى غير ذلك الكثير من الآيات الّتي تؤكّد أنّ اللّٰه مطّلع على شؤون خلقه، ولم يتركهم، وهذا ما يؤكّده الأمر بالدعاء: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[4].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي ...﴾[5].

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[6].

وورد في الحديث: «**إذا دعوت فظنَّ حاجتك بالباب**»[7].

وورد في دعاء زين العابدين عليه السلام: «**اللّهمّ إنّي أجد سبل المطالب إليك مشرعة، ومناهل الرجاء لديك مترعة، والاستعانة بفضلك لمن أمّلك مباحة، وأبواب الدعاء إليك للصارخين مفتوحة، وأعلم أنّك للراجين بموضع إجابة، وللملهوفين بمرصد إغاثة**»[8].

(١) سورة البقرة، الآية:٢٣٥.
(٢) سورة البقرة، الآية:٧٧.
(٣) سورة الحجرات، الآية:١٦.
(٤) سورة غافر، الآية:٦٠.
(٥) سورة البقرة، الآية:١٨٦.
(٦) سورة النمل، الآية:٦٢.
(٧) الكافي، باب اليقين في الدعاء، ج٢، ح١، ص٤٧٣.
(٨) دعاء أبي حمزة الثمالي (راجع: مفاتيح الجنان: أعمال أسحار شهر رمضان) وللدعاء شروطه وفلسفته، والحديث عن ذلك له مكانه.

خلاصة الدرس

- بيّنت سورة القدر أهميّة هذه الليلة المباركة، ونزول القرآن فيها.
- اهتمّ الإسلام ببعض الأمكنة والأزمنة وجعل لها مكانة خاصّة وفضلاً عظيماً، ومنها ليلة القدر.
- لاسم ليلة القدر احتمالات تفسيريّة متعدّدة، أشهرها: أنّها الليلة التي تعيّن فيها مقدّرات العباد ولمدّة سنة.
- كان في هذه السورة المباركة تأكيد على أنّ الله تعالى متابع لشؤون خلقه وفي ذلك تسلية للمؤمنين.

أسئلة

١- نعرف أنّ القرآن نزل تدريجيّاً مدّة ٢٣ عاماً، فكيف توفّق بين ذلك ونزوله في ليلة واحدة هي ليلة القدر؟

٢- ما المراد بـ (الروح) في قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾؟

٣- ما هو القول المشهور في وجه تسمية ليلة القدر؟

٤- كيف تصوّر عدم قطع علاقة الله تعالى مع البشر؟

خطبة النبيّ ﷺ في فضل شهر رمضان وأعماله

روى الصدوق بسند معتبر عن الرضا عليه السلام عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

إنّ رسول الله ﷺ خطبنا ذات يوم، فقال:

«أيّها الناس: إنّه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيّامه أفضل الأيّام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، هو شهر دُعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجُعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب، فسلوا الله ربّكم بنيّات صادقة، وقلوب طاهرة، أن يوفّقكم لصيامه، وتلاوة كتابه، فإنّ الشقيّ من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم. واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه، جوع يوم القيامة وعطشه، وتصدّقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقّروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا أرحامكم، واحفظوا ألسنتكم، وغضّوا عمّا لا يحلّ النظر إليه أبصاركم، وعمّا لا يحلّ الاستماع إليه أسماعكم، وتحنّنوا على أيتام الناس، يتحنّن على أيتامكم، وتوبوا إليه من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء، في أوقات صلواتكم، فإنّها أفضل الساعات، ينظر الله (عزَّ وجلّ) فيها بالرحمة إلى عباده، يجيبهم إذا ناجوه، ويلبّيهم إذا نادوه، ويستجيب لهم إذا دعوه..

أيّها الناس: إنّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم، ففكّوها باستغفاركم وظهوركم ثقيلة من أوزاركم، فخفّفوا عنها بطول سجودكم، واعلموا أنّ الله تعالى ذكره، أقسم بعزّته أن لا يعذّب المصلّين والساجدين، وأن لا يروّعهم بالنار يوم يقوم

الناس لربّ العالمين..

أيّها الناس: من فطَّر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر، كان له بذلك عند الله عتق رقبة، ومغفرة لما مضى من ذنوبه، قيل: يا رسول الله ﷺ وليس كلّنا يقدر على ذلك فقال ﷺ اتّقوا النار ولو بشقّ تمرة، اتّقوا النار ولو بشربة من ماء فإنّ الله يهب ذلك الأجر لمن عمل هذا اليسير، إذا لم يقدر على أكثر منه..

يا أيّها الناس: مَن حسّن منكم في هذا الشهر خلقه، كان له جواز على الصراط، يوم تزلّ فيه الأقدام، ومن خفّف في هذا الشهر عمّا ملكت يمينه، خفّف الله عليه حسابه، ومن كفّ فيه شرّه، كف الله عنه غضبه يوم يلقاه، ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه، ومن وصل فيه رحمه، وصله الله برحمته يوم يلقاه، ومن قطع فيه رحمه، قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه، ومن تطوّع فيه بصلاة، كتب الله له براءة من النار، ومن أدّى فيه فرضاً، كان له ثواب من أدّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن أكثر فيه من الصلاة عليّ ثقّل الله ميزانه يوم تخفّ الموازين، ومن تلا فيه آية من القرآن، كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور..

أيّها الناس: إنّ أبواب الجنان في هذا الشهر مفتّحة، فسلوا ربّكم أن لا يغلقها عليكم، وأبواب النيران مغلقة، فسلوا ربكم أن لا يفتحها عليكم، والشياطين مغلولة، فسلوا ربّكم أن لا يسلّطها عليكم..».

الدرس الثامن

سـورة القارعة

أهداف الدرس

- أن يحفظ الطالب سورة القارعة المباركة.
- أن يستذكر بعضاً من معاني مفرداتها.
- أن يتبيّن بعضاً من مفاهيمها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ
كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾
فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

شرح المفردات:

١- القارعة: من القرع وهو الطرق الشديد مع إحداث صوت شديد.

٢- الفراش: جمع فراشة وهي الحشرة المعروفة.

٣- المبثوث: المتفرّق المنتشر.

٤- العهن: الصوف المصبوغ.

٥- المنفوش: المنثور.

٦- موازين: جمع ميزان وهي وسيلة لوزن الأجسام.

٧- أمّه: مأواه وملجأه.

٨- هاوية: جهنّم.

محتوى السورة وفضيلتها

نزلت هذه السورة في مكّـة المكرّمة، وتتناول بشكل عامّ: المعاد، ومقدّماته، بتعابيـر حـادّة، وبيان مؤثّـر. وإنذار صريـح وواضح، حيث تصنّـف الناس يوم القيامة، إلى صنفيـن أو جماعتين: جماعه تكون أعمالها ثقيلة في ميزان العدل الإلهـيّ فتحظى جـزاءً بذلك، حيـاةً راضية سعيـدة في جوار الرحمـة الإلهيّة، وجماعة أعمالها خفيفة الوزن، فتعيش في نار جهنّم الحارّة المحرقة.

وقـد اشتـقّ اسم هـذه السـورة، أي «**القارعـة**»، من الآيـة الأولـى فيها. وفي فضيلتهـا يكفي أن نقرأ الحديث الشريف المرويّ عن الإمام الباقر عليه السلام: «**من قـرأ القارعـة آمنه الله من فتنة الدجّـال أن يؤمن به، ومن قيح جهنّم يوم القيامة إن شاء الله**»[1].

في كنف السورة

١ - القرآن واليوم الآخر:

هـذه السورة المباركـة ككثير من سور القـرآن تتحدّث عـن مشاهد من يوم القيامة. ولو أجلت بصرك في القرآن العظيم لرأيت مدى اهتمامه بقضيّة اليوم الآخر.

فلقـد كُرِّرت الأمـور الّتي تتعلّق باليوم الآخـر كثيراً، فمثلاً يـوم القيامة كُرِّر تقريبـاً ٧٠ مـرّة، اليوم الآخـر ٢٦ مرّة، الآخـرة والدار الآخـرة ١١٧ مرّة، جنّة وجنّات ١٤١ مرّة، جهنّم ٧٧ مرّة، إلى غير ذلك.

ولقـد اعتنـى القـرآن العظيم بمشاهـد القيامـة: البعث والحسـاب، النعيم والعـذاب، حتّى عاد اليوم الآخر مـن خلال بلاغة القرآن مصـوّراً حسيّاً، وحيّاً

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٣٠.

متحـرّكاً، وبارزاً شاخصاً. وعاشـ المسلمون في هذا العالـم عيشة كاملة: رأوا مشاهـده، وتأثّروا بها، وخفقـت قلوبهم واقشعرّت جلودهـم وسرى في نفوسهم الفـزع مـرّة، وعاودهم الاطمئنان أخرى، ولفحهم من النـار شواظ، ورفّ إليهم مـن النار نسيم، فأصبحوا والنار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون، وباتوا والجنّة كمن قد عاينها فهم فيها منعمّون.

وما اهتمام القرآن باليوم الآخر إلّا لما يحمله الإيمان باليوم الآخر من أهميّة لحياة الأمم والأفراد، حتّى أنّ القرآن الكريم قرن كثيراً بين الإيمان بالله واليوم الآخر، ممّا يشير إلى أنّ الإيمان بالله لا يكفي الإنسان (الفرد والأمّة) في كماله الروحـيّ وسكينتـه النفسيّـة وصلاحه الأخلاقـيّ والسلوكيّ، ما لـم يكن يقترن بالإيمان باليوم الآخر.

قـال الله تعالـى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2].

إلى كثير من الآيات التي تقرن الإيمان بالله مع الإيمان باليوم الآخر.

٢- صور من الآخرة:

﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾: من أسماء القيامة لأنّها تقرع القلوب بأهوالها، ومثلها الحاقّة والصاخّـة والطامّة وما إليها. ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾: استفهـام أريد به تعظيم شأنها. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾: ما الّذي جعلك بها دارياً؟ فإنّها فوق التصوّر.

﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾: هـذا بيـان لبعض ما يحدث

(١) سورة البقرة، الآية:٢٣٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية:١١٤.

فيهـا لا لبيان حقيقتهـا، والفراش معلوم وهو الطير الصغيـر الّذي يترامى ليلاً على السـراج ، والمبثوث المتفرّق المنتشر ... وقد شبّه سبحانه حال الخلق يوم القيامة بحال الفراش في الجهل والحيرة وتساقط أكثرها في النار.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾: العهـن الصـوف ، ونفشه أن تفرّق شعراته بعضها عن بعض .

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: والمـراد بـه من طابـت سريرته وصلح عمله

﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾: أي يرضاها ويهنأ بها.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: والمـراد بـه من خبثت سريرتـه وساء عمله.

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾: المـراد بأمّه هنا ما يأويـه ويحضنه، وبالهاوية جهنّم لأنّ المجـرم يهوي بهـا، وقد بيّنهـا سبحانه بقولـه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾: هذا كلّ ما يمكن أن تعرفه عن جهنّم، أمّا إدراك حقيقتها فتعجز عنه الأفهام لأنّ قعرها بعيد، وعذابها شديد.

٣- الهاوية:

عـن أبي عبد الله عليه السلام ، قال: «**بينا عيسى بـن مريم عليه السلام في سياحته إذ مرّ بقريـة، فوجـد أهلهـا موتى فـي الطريق والدور، فقـال: إنّ هؤلاء ماتـوا بسخطة، ولو ماتوا بغيرها تدافنوا، قال: فقال أصحابه: وددنا أنّا عرفنا قصّتهم، فقيل له: نادهم يا روح الله، قال، فقال:**

يـا أهـل القريـة. فأجابهم مجيـب منهم: لبيك يا روح الله، قـال: ما حالكم وما قصّتكم؟ قـال: أصبحنـا في عافيـة، وبتنا في الهاويـة، قال: فقال: ومـا الهاوية؟ قـال: بحـار مـن نار فيها جبال من نار، قال: وما بلغ بكم ما أرى؟ قال: حبّ الدنيا وعبـادة الطواغيـت. قال: وما بلغ مـن حبّكم الدنيا؟ قال: كحبّ الصبـيّ لأمّه، إذا أقبلت فرح، وإذا أدبرت حزن.

قال: وما بلغ من عبادتكم الطواغيت؟ قال: كانوا إذا أمرونا أطعناهم. قال: فكيف أجبتني [أنت] من بينهم؟ قال: لأنّهم ملجمون بلجم من نار، عليهم ملائكة غلاظ شداد، وإنّي كنت فيهم ولم أكن منهم، فلمّا أصابهم العذاب أصابني معهم، فأنا معلّق بشجرة أخاف أن أكبكب في النار، قال: فقال عيسى عليه السلام لأصحابه: النوم على المزابل، وأكل خبز الشعير، خير مع سلامة الدين»[1].

٤- الثواب والعقاب:

ورد الكثير من الآيات في القرآن الكريم الّتي تتحدّث حول الثواب والعقاب في اليوم الآخر، ومنها:

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾.

ولكن هنا ملاحظة:

صحيح أنّ الإيمان بالآخرة وبالتالي الثواب والعقاب فيها مهمٌّ وأساس ولكن إذا لم تتبعه أمور تعطِّل فعّاليّة هذا الإيمان.

فمثلاً المسيحيّة تؤمن بالثواب والعقاب، إلّا أنّه دخلت أمور عطّلت هذا القانون الإلهيّ العادل.

من هذه الأمور مسألة «**صلب المسيح**» وأنّه صُلب ليفدي النّاس من الخطيئة، أو مسألة «**الاعتراف عند الكاهن**» بحيث إذا اعترف المذنب تُغفر ذنوبه، أو مسألة «**المسح الأخير**» حيث يستمع القسّ إلى اعترافات المسيحيّ وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، ويمنحه المغفرة الّتي تُنجيه من النار، ويمسحه حتّى يطهر من

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٧٠،ص١٠٢.

الخطيئة ويصبح مستعدّاً للبعث أمام الحَكَم العدل، إلى غير ذلك من المسائل.

هـذه المسائـل تعطِّل قانون الثـواب والعقاب، وتشجِّع النـاس على الخطيئة، وهـذا ما نـراه في المجتمع المسيحـيّ. أمّا الإسلام فليس عنـده هذه الأمور ولا يؤمن بها. نعم، عنده التوبة والغفران من الله والشفاعة، ولكنّ هذه لا تشبه تلك وإن كان هنـاك أنـاس يفهمونها خطأً، حيث يدخل الشيطـان بتزييناته مع هوى النفس فيسوّف للإنسان بالتوبة إلى آخر العمر، مع أنّ التوبة في آخر العمر وعند تراكم الذنوب أمر صعب.

وحيـث يمنّي الإنسان نفسه بشفاعة الشافعين فـي حين أنّه لم يعرف حقيقة الشفاعة.

ألا تعـرف أنّه قـد لا تشملك شفاعتهم عليهم السلام لأنّ الانغمار في المعاصي يجعل القلب بالتدريج مظلماً ومنكوساً وربّما يصل الإنسان إلى الكفر، والكافر لا يُشفع له؟

ثمّ ألا تعلم أنّه إذا كانت أثقال الذنوب كثيرة يمكن ألّا يشفع الشافعون لك في البـرزخ والقبر، ويمكن أن لا تصل شفاعتهم في يوم القيامة إلّا بعد مدّة طويلة، كما ورد في بعض الأحاديث؟

فلا تستمع للشيطان ونفسك الأمّارة حيث يعدانك بالرحمة الواسعة والمغفرة الكريمة لأرحم الراحمين، فتتهاون وتنزلق في المعاصي، في حين أنّ الله رحيم فـي موضـع الرحمة وشديد العقاب فـي موضع الشدّة، فليس صحيحاً أن ترجو رحمة الله فحسب دون أن تخافه وتخشى عقابه، ونحن نقرأ في دعاء الافتتاح:

«وأيقنـت أنّك أنت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة وأشدّ المعاقبين في موضع النكال والنقمة».

فإذاً ينبغي فهم مسألة التوبة وغفران الله ورحمته والشفاعة والاستغفار فهماً صحيحاً، وإلّا كانت الآخرة والثواب والعقاب لا أثر لها.

خلاصة الدرس

- تتناول هذه السورة موضوع المعاد وتصنّف الناس جماعتين واحدة في جوار الرحمة الإلهيّة وأخرى في نار حامية.

- اهتمّ القرآن ببيان أحوال يوم القيامة حتّى أمسى قالباً حسيّاً، يتمثّل للمؤمنين في جميع تقلّباتهم ومعائشهم.

- إنّ إدراك حقيقة جهنّم تعجز عنه الأفهام لأنّ قعرها بعيد وعذابها شديد..

- إنّ الثواب والعقاب قانون إلهيّ يجزى به العامل في هذه الدنيا إلّا أنّ بعض الأفكار الخاطئة حول هذا القانون عطّلت مفاعيله لدى بعض الناس ما حدا بهم إلى ارتكاب الذنوب.

أسئلة

١- ماذا تتناول هذه السورة بشكل عامّ؟

٢- تصنّف هذه السورة الناس يوم القيامة إلى صنفين تحدث عنهما.

٣- هل القارعة اسم للقيامة أو لمقدّماتها؟

٤- هل هناك ما يعطّل فعّاليّة الإيمان بالآخرة في الإسلام؟

نقطة هامّة

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره:

على سالك طريق الهداية والنجاة الانتباه إلى نقطة هامّة، هي أنَّ التوفيق إلى التوبة الصحيحة الكاملة مع توفير شرائطها من الأمور الصعبة، وقليلاً ما يستطيع الإنسان أن يصل إلى هذا المقصد. بل إنّ اقتراف الذنوب وخاصّة المعاصي الكبيرة يجعل الإنسان غافلاً عن ذكر التوبة نهائيّاً. وإذا ما أثمرت وقويت شجرة المعاصي في مزرعة قلب الإنسان وتحكّمت جذورها، ستكون لها نتائج وخيمة: منها حثّ الإنسان على الانصراف كلّياً عن التفكير في التوبة، وإذا تذكّرها أحياناً تكاسل في إجرائها وأجّلها وقال: «**اليوم أو غداً وهذا الشهر أو الشهر المقبل**».

ويخاطب نفسه قائلاً: إنّني أتوب آخر العمر وأيّام الشيخوخة توبة صحيحة، وإنّه يغفل عن أنّ هذا مكر مع الله ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ لا يتوقّع الإنسان أنّه بعد أن تقوى جذور الذنوب في نفسه، يستطيع أن يتوب أو يقوم بتوفير شروط التوبة. إنّ أفضل أيّام التوبة وربيعها هي فترة أيّام الشباب. لأنّ الذنوب أقلّ وشوائب القلب وظلمات الباطل أخفّ، وشروط التوبة أسهل وأيسر. وقد يكثر في سنّ الشيخوخة حرص الإنسان وطمعه وحبّه للمال ويزداد طول أمله وقد أثبتت التجربة ذلك.

والحديث النبويّ الشريف[1] أفضل شاهد على هذه المقولة.

وإذا افترضنا أنّ الإنسان يستطيع القيام بهذا العمل (التوبة) في سنّ

(١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يهرم بني آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والأمل»، الخصال، ج١، ص٧٣.

الشيخوخـة. فما هو الضمـان للوصول إلى سنّ الشيخوخة وعـدم إدراكه الأجل المحتـوم أيّـام الشباب على حين غـرّة، وهو مشغـول بالذنـوب والعصيان؟ إنّ انخفاضـ عدد المسنّين دليل علـى أنّ الموت أقرب إلى الشباب منه إلى الشيخ. إنّنـا فـي المدينة الّتـي تحتوي على خمسيـن ألف نسمة لم نجـد خمسين شيخاً يناهز عمر كلّ منهم ثمانين عاماً.

فيـا أيّها العزيز كن على حذر من مكائد الشيطان ولا تمكر على اللّه ولا تحتل عليـه بـأن تقول أعيشـ خمسين عاماً أو أكثـر مع الأهواء، ثـمّ أستغفر ربّي لدى الموت وأستدرك الماضي، لأنّ هذه أفكار واهية.

إذا سمعـت أو علمت من الحديث الشريـف أنّ اللّه سبحانه وتعالى قد تفضّل علـى هـذه الأمة بتقبّـل توبتهم قبـل مشاهدة آثـار الموت أو عنـد الموت وذلك صحيح[1]. ولكن هيهات أن تتحقّق التوبة من الإنسان في ذلك الوقت.

هل تظنّ أنّ التوبة مجرّد كلام يقال؟ إنّ القيام بالتوبة لعمل شاقّ. إنّ الرجوع إلـى اللّه والعزم على عدم العـودة إلى الذنب يحتاج إلى رياضـة علميّة وعمليّة، إذ نـادراً مـا يحدث للإنسـان أن يفكّر وحده بالتوبـة أو يوفّق إليهـا أو يوفّق إلى توفيـر شرائط صحّة التوبة وقبولها أو إلى توفير شرائط كمالها. إذ من الممكن أن يدركـه المـوت قبل التفكير فـي التوبة أو إنجازها وينقله مـن هذه النشأة مع المعاصـي التي تنوء بالإنسان ومع ظلمات الذنوب اللامتناهية، وفي ذلك الوقت يعلم اللّه وحده المصائب والمحن الّتي سوف يواجهها.

ليسـ من السهل أن يَجبر الإنسان في العالم الآخر معاصيه، إذا كان من أهل

(١) روي عـن الإمـام الصـادق عليه السلام عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «من تاب قبل موته بسنة قبل اللّه توبته ثمّ قال: إنّ السنة لكثير، من تاب قبل موته بشهر قبل اللّه توبته، ثمّ قال: إنّ الشهر لكثير. من تاب قبل موته بجمعة، قبل اللّه توبته. ثمّ قال: إنّ الجمعة لكثيـر. مـن تاب قبل موتـه بيوم، قبل اللّه توبته. ثـمّ قال: إنّ اليوم لكثير، مـن تاب قبل أن يعاين قبـل اللّه توبته» (أصول الكافي، ج٢، ص٤٤).

النجــاة وممّن عاقبــة أمره سعيدة، إذ لا بدّ من متاعــب وضغوطات ونيرانٍ حتى يصبح الإنسان أهلاً لرحمة أرحم الراحمين.

إذاً، أيّها العزيز! عجّل في شدِّ حيازيمك، وإحكام عزيمتك وقوّتك الحاسمة، وأنــت في أيّام الشباب أو على قيد الحياة في هذه الدنيا وتب إلى الله، ولا تسمح لهــذه الفرصــة الّتي أنعــم الله بها عليــك أن تخرج مــن يدك ولا تعبــأ بتسويف الشيطان ومكائد النفس الأمّارة.

الدرس التاسع

سـورة التكاثر

أهداف الدرس

- أن يحفظ الطالب سورة التكاثر المباركة.
- أن يستذكر بعضاً من معاني مفرداتها.
- أن يتبيّن بعضاً من مفاهيمها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

شرح المفردات:

١ - ألهاكم: الإلهاء الصرف إلى اللهو، واللهو الانصراف إلى ما يدعو إليه الهوى.

٢ - التكاثر: التفاخر والمباهاة.

٣ - اليقين: العلم الخالي من الشك.

٤ - عين اليقين: محض اليقين، بحيث يرى بأمّ العين ما لا يخالطه شكّ.

محتوى السورة وفضيلتها

يعتقد كثير من المفسّرين أنّ هذه السورة نزلت في مكّة، وما فيها من ذكر للتفاخر والتكاثر، إنّما يرتبط بقبائل قريش الّتي كانت تتباهى على بعضها بعضاً بأمور وهميّة.

وبعضهم كالمرحوم الطبرسيّ في مجمع البيان يرى أنّها مدنيّة، وما فيها من ذكر للتفاخر قد ورد بشأن اليهود، أو طائفتين من الأنصار. ويحتمل أن تكون مكّيتها أصحّ لشبهها الكبير بالسور المكّية. هذه السورة تتناول في مجموعها تفاخر الأفراد على بعضهم بعضاً، استناداً إلى مسائل موهومة وتذمّ ذلك وتلومهم عليه ثمّ تحذّرهم من حساب المعاد وعذاب جهنّم وممّا سيسألون عنه يوم ذاك من النعم الّتي منَّ اللّه بها عليهم. وقد اشتقّ اسم السورة من الآية الأولى فيها.

وفي فضيلة تلاوتها ورد عن رسول اللّه ﷺ قال:

«من قرأها لم يحاسبه الله بالنعيم الّذي أنعم عليه في دار الدنيا وأُعطيَ من الأجر كأنّما قرأ ألف آية»[1].

في كنف السورة

هذه السورة المباركة فيها مواعظ جليلة تستأهل منّا التوقّف عندها والتأمّل فيها:

١ - الإنسان وغفلته عمّا بعد الدُّنيا (الإنسان اللاهي والمكاثر):

لقد ورد الكثير من الآيات في القرآن الكريم تشير إلى أنّ كثيراً من الناس يعيشون الغفلة عن الآخرة ويستغرقون في الدنيا وغرورها، بحيث يذوبون فيها، فلا ينظرون إلّا إليها، فتعمِهم عن الحقيقة الّتي تُفيد أنّ الدنيا ليست نهاية المطاف، إنّما هي قنطرة يعبرها الإنسان إلى عالم آخر.

ومن الآيات المعبِّرة التي تشير إلى هذه الحقيقة:

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[2].

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٣٢.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

هذه الآية الكريمة تؤكّد حقيقة غفلة الإنسان عبر مراحل عمره الخمس.

حيث في البداية مرحلة الطفولة، والحياة في هذه المرحلة عادة مقترنة بحالة من الغفلة والجهل واللعب.

ثمّ مرحلة المراهقة حيث يأخذ اللهو مكان اللعب، وفي هذه المرحلة يكون الإنسان لاهثاً وراء الوسائل والأمور الّتي تلهيه وتبعده عن الأعمال الجدّية.

والمرحلة الثالثة هي مرحلة الشباب والحيويّة والحبّ والعشق والزينة.

وإذا ما تجاوز الإنسان هذه المرحلة فإنّه يصل إلى المرحلة الرابعة حيث تنبعث في نفسه إحساسات علوّ المقام والتفاخر.

وأخيراً يصل إلى المرحلة الخامسة حيث يفكّر فيها بزيادة المال والأولاد وما إلى ذلك.

فنرى أنّ الإنسان غالباً، إلّا من رحم اللّه، يعيش الغفلة في مراحل عمره كلّها، ولا يترك للّه تعالى، ولمعرفة حقائق الوجود، وللتفكير بالمصير النهائيّ للوجود، أيّ مجالٍ وأيّ فسحة.

والآية الّتي نحن بصدد تفسيرها تتّجه لهذا المعنى:

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾

وهي تشير أكثر ما تشير إلى المرحلة الخامسة من عمر الإنسان حيث يُلهيه جمع الأموال والأولاد والتفاخر بالأنساب والأقوام. ولقد عُرف عن العرب أنّهم كانوا يتفاخرون بالأموال والأنساب، ويؤسّسون حياتهم على أسس قبليّة. وهذه الآية كأمثالها تريد أن تُخرج من النفوس هذه العصبيّة القبليّة، والتفاخر بها وبالحطام.

وهنا لفتة مهمّة من الآية الكريمة، تشير إلى أنّ الإنسان يستيقظ من غفلته إمّا حين موته:

﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾[1].

وإمّا حين زيارته للمقابر حيث يتذكّر أنّه سيموت يوماً ما، فيستيقظ من غفلته شيئاً ما، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**اذكروا هادم اللذّات**» أي الموت.

وقد احتمل المفسّرون معنيين:

١ – إنّكم ذهبتم إلى المقابر لتستكثروا أنفس قبيلتكم.

٢ – إنّكم انشغلتم بالتكاثر والتفاخر حتّى لحظة موتكم وورودكم إلى المقابر.

وللإمام عليّ عليه السلام كلام بعد أن تلا: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾.

قال: «**يا له مراماً**[2] **ما أبعده، وزوراً ما أغفله، وخطراً ما أفظعه، لقد استخلوا منهم أيّ مدّكر وتناوشوهم من مكان بعيد، أفبمصارع آبائهم يفخرون؟ أم بعديد الهلكى يتكاثرون؟ يرتجعون منهم أجساداً خَوَت**[3]**، وحركات سَكنت، ولأن يكونوا عِبَراً أحقّ من أن يكونوا مفتخراً**»[4].

فالموت خير واعظ لمن يتّعظ، ومن هنا ورد استحباب زيارة القبور، عسى أن يقوم الإنسان من سكرة الغفلة، غفلة الدنيا والاستكثار بالأموال والأولاد، والتفاخر بالأحساب والأنساب.

(١) سورة ق، الآيات: ١٩ ـ ٢٢.

(٢) المرام: الطلب، والزَور: بالفتح الزائرون وهم يرومون نيل الشرف ممّن تقدّمهم وتلك غفلة.

(٣) أي خلت من أرواحها.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢١.

٢- إشارة إلى عذاب القبر:

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

ورد العديد من الآيات القرآنيّة الكريمة الّتي تشير إلى أنّ الإنسان لا يصبح عدماً بعد موته، بل له حياة أخرى بعد الموت، إنّها حياة البرزخ، ومن هذه الآيات:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[١].

وذهب بعض المفسرين إلى أنّ:

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

الأولى إشارة إلى عذاب القبر والبرزخ، والثانية إلى عذاب القيامة.

في التفسير الكبير للفخر الرازيّ عن ذرّ بن حبيش قال: كنّا في شكّ من عذاب القبر حتّى سألنا عليّاً فأخبرنا أنّ هذه الآية دليل على عذاب القبر[٢].

٣- مراتب اليقين:

من الواضح أنّ المؤمنين ليسوا على درجة واحدة من الإيمان بل بعضهم لا يُطلق عليهم إلّا الإسلام وما آمنت قلوبهم:

﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ...﴾[٢].

ولذلك ورد العديد من الروايات الّتي تُشير إلى هذه الحقيقة، فقد جعل الإمام الكاظم عليه السلام الإيمان أعلى من الإسلام درجة، والتقوى أعلى من الإيمان

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩ ـ ١٠٠.

(٢) راجع: تفسير الفخر الرازي، ج٣٢، ص٧٨.

(٣) سورة الحجرات، الآية:١٤.

درجــة، واليقين أعلى مــن التقوى درجة، ثمّ قال: «**وما قسم فـي الناس شيء أقلّ من اليقين**»[1].

ورغـم مـا يُستفـاد مـن الروايـات أنّ اليقين هـو أعلى مراحـل الإيمان، فـإنّ له مراتب، وهي ثلاث:

أ. علم اليقين: وهو الّذي يحصل للإنسان عند مشاهدته الدلائل المختلفة، كأن يُشاهد دخاناً فيعلم علم اليقين أنّ هناك ناراً.

ب. عين اليقيــن: وهو يحصل حين يصل الإنسان إلــى درجة المشاهدة كأن يرى بعينه مثلاً النار.

ج. حــقّ اليقيــن ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾[2]: وهــو كأن يدخـل الإنسان النار بنفسه ويحسّ بحرقتها، وهذه أعلى مراحل اليقين.

٤ - السؤال عن النعيم: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[3].

قيل إنّ النعيم المسؤول عنه، هو نعمة السلامة، وفراغ البال، والأمن.

وروي أنّ أبــا حنيفة ســأل الإمام الصادق عليه السلام عن تفسيــر هذه الآية فقال عليه السلام: «**ما النعيم عندك يا نعمان؟**».

قال: القوت من الطعام والماء البارد.

فقــال عليه السلام: «**لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتّى يسألك عن كلّ أكلة أكلتها وشربة شربتها ليطولنّ وقوفك بين يديه، قال: فما النعيم جعلت فداك؟**

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٥١.
(٢) سورة الواقعة، الآية:٩٥.
(٣) سورة التكاثر، الآية:٨.

قال: نحن أهل البيت النعيم الّذي أنعم الله بنا على العباد وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين وبنا ألّف الله بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداءاً وبنا هداهم الله للإسلام وهي النعمة الّتي لا تنقطع، والله سائلهم عن حقّ النعيم الّذي أنعم الله به عليهم وهو النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعترته»[1].

من كلّ هذه الروايات الّتي يبدو أنّها مختلفة في ظاهرها نفهم أنّ النعيم له معنى واسع جدّاً يشمل كلّ المواهب الإلهيّة المعنويّة مثل: الدِّين والإيمان والإسلام والقرآن والولاية لأهل البيت عليهم السلام، وأنواع النعم الماديّة الفرديّة منها والجماعيّة، والتي سنُسأل عنها وكيف تعاملنا معها وهل أرضينا الله بها؟

يقول تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[2].

خلاصة الدرس

- في هذه السورة المباركة مواعظُ جليلة، منها:

- أنّ الدنيا ليست سوى قنطرة تعبر بنا إلى عالم آخر، ومع ذلك فإنّ أغلب بني البشر يغفلون عن هذه الحقيقة إلا إن ماتوا أو زاروا المقابر.

- لليقين وهو أعلى مراحل الإيمان مراتب، وهي: علم اليقين، عين اليقين، حقّ اليقين.

- سيسألنا الله تعالى عن نعمه ومواهبه الّتي أنعمها علينا سواء على عيد الفرد أو الجماعة كيف تعاملنا معها، وهل أرضينا الله بها ولا شكّ أنّ من أعظم النعم علينا والّتي سنسأل عنها: أهل البيت عليهم السلام.

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٣٥.

(٢) سورة الصافات، الآية:٢٤.

أسئلة

١- ما هو التهديد الإلهيّ الّذي تحتوي عليه السورة؟

٢- ما هي المراحل الخمسة؟ وكيف يغفل الإنسان فيها؟

٣- كيف يستيقظ الإنسان من غفلته؟

٤- ما هي الآية التي تشير إلى عذاب القبر؟

٥- اذكر مراتب اليقين.

للمطالعة

الاستعاذة

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[1].

من الآداب المهمّة للقراءة وخصوصاً القراءة في الصلاة الّتي هي السفر الروحانيّ إلى الله والمعراج الحقيقيّ ومرقاة وصول أهل الله، الاستعاذة من الشيطان الرجيم الّذي هو شوكة طريق المعرفة ومانع السير والسلوك إلى الله، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن قوله في السورة المباركة الأعراف حيث قال: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[2] ولا يحصل الأمان من شرّه من دون الاستعاذة بحصن الألوهيّة الحصين، ولا تتحقّق هذه الاستعاذة بلقلقة اللّسان، والصورة بلا روح، والدنيا بلا آخرة، كما هو مشهود في أشخاص قالوا بهذا القول منذ أربعين أو

(١) سورة النحل، الآيات: ٩٨ ـ ١٠٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦.

خمسين سنة وما نجوا من شرّ هذا القاطع للطريق ويتبعون الشيطان في الأخلاق والأعمال بل في العقائد القلبيّة. ولو كنّا مستعيذين من شرّ هذا الخبيث بالذّات المقدّسة للحقّ تعالى وهو الفيّاض المطلق وصاحب الرحمة الواسعة والقدرة الكاملة والعلم المحيط لأعاذنا الله ولصلح إيماننا وأخلاقنا وأعمالنا.

الإخلاص طريق الاستعاذة

فمن مهمّات آداب الاستعاذة الخلوص كما نقله سبحانه عن الشيطان أنّه قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[1]، وهذا الإخلاص كما يظهر من الكريمة الشريفة أعلى من الإخلاص العمليّ وأعمّ من العمل الجوانحيّ أو العمل الجوارحيّ، لأنّ المُخلَص بصيغة المفعول، ولو كان المنظور هو الإخلاص العمليّ لكان التعبير بصيغة الفاعل المُخلِص. فالمقصود من هذا الإخلاص هو خلوص الهويّة الإنسانيّة بجميع شؤونها الغيبيّة والظاهريّة والإخلاص العمليّ من رشحاته، وهذه الحقيقة واللّطيفة الإلهيّة وإن كانت لا تحصل للعامّة في ابتداء السّلوك إلّا بالرّياضات العمليّة الشّديدة وخصوصاً الرّياضات القلبيّة الّتي هي أصلها كما أشير إليه في الحديث المشهور:

«من أخلص لله أربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»

فمن أخلص أربعين صباحاً ـ بمقدار تخمير طينة آدم عليه السلام ، وكان أربعين صباحاً، والرّبط بينهما معلوم عند أهل المعرفة وأصحاب القلوب ـ نفسه لله وأخلص أعماله القلبيّة والقالبيّة للحقّ تعالى يكون قلبه إلهيّاً ولا ينفجر من القلب الإلهيّ سوى عيون الحكمة، فيكون لسانه الّذي هو أكبر ترجمان للقلب ناطقاً بالحكمة.

(١) سورة ص، الآيتان: ٨٢ ـ ٨٣.

الدرس العاشر

سـورة العصر

أهداف الدرس

- أن يحفظ الطالب سورة العصر المباركة.
- أن يستذكر بعضاً من معاني مفرداتها.
- أن يتبيّن بعضاً من مفاهيمها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾

شرح المفردات:

١- العصر: هو الطرف الأخير من النهار أو هو الزمان.

٢- خُسر: خيبة.

٣- الحقّ: ما أرشد إليه دليل قاطع أو عيان ومشاهدة.

محتوى السورة وفضيلتها

المعروف أنّ هذه السورة مكيّة واحتمل بعضهم أنّها مدنيّة، ويشهد على مكّيتها لحنها ومقاطعها القصيرة.

بلغت شموليّة هذه السورة درجة حَدَت ببعض المفسرين إلى أن يرى فيها خلاصة كلّ مفاهيم القرآن وأهدافهن وبعبارة أخرى: هذه السورة رغم قصرها تُقدّم المنهج الجامع والكامل لسعادة الإنسان.

تبـدأ السورة من قَسَم عميق المحتوى بالعصـر. وسيأتي تفسيره، ثمّ تتحدّث عـن خُسران كلّ أبناء البشَر باستثناء مجموعـة واحدة ذات منهج له أربعة أصول: الإيمان، والعمل الصالح والتواصي بالحقّ والتواصي بالصبر. وهذه الأصول الأربعة هي في الواقع المنهج العقائديّ والعمليّ الفرديّ والاجتماعيّ للإسلام.

في فضيلة هذه السورة ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«**مـن قـرأ سـورة ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ فـي نوافلـه بعثـه الله يـوم القيامة مشرقـاً وجهه ضاحكاً سنّه، قريرة عينه حتّى يدخل الجنّة**»[1].

وواضـح أنّ كلّ هذه الفضيلة وهذه البشرى نصيب مـن طبّق الأصول الأربعة المذكورة في حياته، لا أن يقنع فقط بقراءتها.

في كنف السورة

١ - العصر وأهميَّة الزمن:

العصر في الأصل الضغط، وإنّما أطلق على وقت معيّن من النهار لأنّ الأعمال فيـه مضغوطة، ثمّ أطلقت الكلمة علـى مطلق الزمان ومراحل تاريخ البشريّة، أو مقطـع زمنـيّ معيّن، كأن نقول عصـر الجاهليّة أو عصـر الإسلام. ولذلك ذكر المفسّرون في معنى العصر احتمالات كثيرة، نذكر منها:

١- قيل: إنّه وقت العصر من النهار.

٢- إنّه كلّ الزمان وتاريخ البشريّة المملوء بالدروس والعبر.

٣- إنّـه مقطع خاص من الزمن مثـل عصر البعثة النبويّة المباركة، أو عصر قيام المهديّ المنتظر عجل الله فرجه الشريف.

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٤٥.

ومهمـا يكن من شيء، فإنّ الله سبحانه وتعالى يقسم كثيراً بالزمان، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾. في سورة الضحى، الآية: ٢.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾. في سورة المدّثّر، الآية: ٣٤.

وما تلك الأقسام بالزمان إلّا للإشارة إلى أهميَّة الزمان والعُمر في حياة الإنسان، فعليه أن يعرف جيّداً كيف يستغلّ عمره في الانتفاع لدنياه وآخرته، ولا يقتله في مضرّة دنياه وآخرته. وإذا تطلّع الإنسان إلى الزمان الّذي يعيشه لرآه قصيراً جدّاً، إلّا أنّ غفلة الإنسان عن الآخرة، توهمه أنّه سيعيش إلى الأبد.

لو عرف الإنسان كيف تتبدّل خلايا جسده، وكيف يستهلك كلّ يوم آلاف الخلايا من مخّه، دون أن يستعيض عنها شيئاً، وكيف يتسارع ما حوله من أشياء في سبيل الفناء، لو عرف الإنسان أنّ عمره بالقياس إلى عمر الأرض الّتي يعيش عليها اليوم يكاد لا يكون شيئاً مذكوراً، ولو عرف أنّ العمر الّذي فات لا يعود، فما فات فات، واليوم الّذي أنت فيه سيفوت، ولو عرف أنّه مسؤول عن هذا العمر الّذي سيعيشه: ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾[1].

وعن رسول الله ﷺ:

«لا تـزول قدمـا عبـد يوم القيامـة حتّى يُسأل عـن أربع: عن عمره فيمـا أفناه، وعـن شبابـه فيمـا أبـلاه، وعن ماله مـن أين اكتسبه وفيمـا أنفقه وعـن حبّنا أهل البيـت»[2]، لـو عـرف كلّ ذلك، لاستغـلّ كلّ ثانية بل كلّ جـزء ثانية في رضا الله تعالى، ولما خسر عمره.

(١) سورة الصافات، الآية:٢٤.

(٢) بحار الأنوار، ج٧، ص٢٥٨.

٢- ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾:

هذا جواب القسم.

والمعنى: إنّه لفي نقصان، لأنّ عمره ينقص كلّ يوم، وهو رأس ماله، فإذا ذهب رأس ماله، ولم يكتسب به الطاعة، يكون على نقصان طول دهره وخسران، إذ لا خسران أعظم من استحقاق العقاب الدائم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: استثنى من جملة الناس المؤمنين المصدّقين بتوحيد الله، العاملين بطاعة الله.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾: أي وصّى بعضهم بعضاً باتباع الحقّ، واجتناب الباطل.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾: أي وصى بعضهم بعضاً بالصبر على تحمّل المشاقّ في طاعة الله، وبالصبر عن معاصي الله، وبالصبر على امتحان الله وبلاءه.

إنّ أعظم ما في الإنسان، وأهمّ ما أنعم الله به على الإنسان هو أنّه تعالى أعطاه القدرة الكافية الوافية على أن يكون ملاكاً أو شيطاناً، رابحاً أو خاسراً، وأنّه، جلّت حكمته، جعل الحريّة له وحده في أن يختار لنفسه ما يشاء من الشقاء والخسران، والربح والسعادة، وأنّ الله يعامله بما يختاره لنفسه ربحاً أو خسراناً بعد أن هداه النجدين.. وأيّ فضل أعظم من هذا الفضل، وعدل أعظم من هذا العدل؟

والخلاصة أنّ إيمان هؤلاء وتواصيهم بالحقّ والصبر ينتج عنه خروجهم من دائرة الخسران التي تحيط بالأعمّ الأغلب من بني الإنسان، ثمّ هم بعد ذلك في أعظم ربح وزيادة، يربحون الثواب باكتساب الطاعات، وإنفاق العمر فيها، فكأنّ رأس مالهم باق، كما أنّ التاجر إذا خرج رأس المال من يده، وربح عليه، لم يعد ذلك ذهاباً.

وفي هذه السورة أعظم دلالة على إعجاز القرآن. ألا ترى أنّها مع قلّة حروفها، تدلّ على جميع ما يحتاج الناس إليه في الدين، علماً وعملاً. وفي وجوب التواصي بالحـقّ والصبر إشارة إلى الأمـر بالمعروف، والنهي عن المنكـر، والدعاء إلى التوحيد والعدل، وأداء الواجبات، والاجتناب عن القبائح.

٣- حتّى لا تكون من الخاسرين:

إنّ السعادة الأخرويّة (والدنيويّة طبعاً) هي في الإيمان بالله وبأنبيائه ورسول الله ﷺ وتعاليمه واليوم الآخر والثواب والعقاب، ليس الإيمان فحسب، بل العمل الصالح أيضاً.

لذلك يقول تعالى في سورة أخرى:

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[1].

جاء في تفسير مجمع البيان وتفاسير أخرى، أنّ المسلمين وأهل الكتاب كانوا يتفاخـرون بعضهم على بعضـ، فكان أهل الكتاب يتباهون بكـون نبيّهم قد بعث قبـل نبيّ الإسـلام وأنّ كتابهم أسبق من كتاب المسلميـن، بينما كان المسلمون يفتخرون على أهل الكتاب بأنّ نبيّهم هو خاتم الأنبياء عليهم السلام، وأنّ كتابه هو آخر الكتب السماويّة وأكمَلها.

وفي رواية أخرى:

أنّ اليهـود كانوا يدّعون أنّهم هم شعب الله المختار، وأنّ نار جهنّم لا تمسّهم

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٢٣ ـ ١٢٤.

إلّا أيامـاً معدودة كما ورد في سورة البقرة، الآية: ٨٠: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ...﴾.

وأنّ المسلميـن كانـوا يقولون، ردّاً على اليهود، أنّهـم هم خير الأمم، لأنّ الله قال في شأنهم:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...﴾[1].

ولذلك نزلت الآيتان ١٢٣ و ١٢٤ من سورة النساء، ودحضت كلّ تلك الدّعاوى وحدّدت قيمة كلّ شخص بما يقوم به.

فليست قيمتك أيّها المسلم في أنّك تنتمي إلى الإسلام على المستوى الإسميّ فحسـب، إنّما قيمتك عنـد الله فيما تعمل في هذه الحياة وتلتزم وتطبّق من هذا الإسلام العزيز.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

خلاصة الدرس

- اعتبر بعض المفسّرين أنّ هذه السورة المباركة فيها خلاصة كلّ مفاهيم القرآن وأهدافه إذ تقدّم منهج السعادة الكامل للإنسان.
- على الإنسان أن يستغلّ عمره فيما ينفع في الدنيا والآخرة.
- إنّ طول الأمل مرتبط بالخسران للعمر الناتج عن التقصير في العمل.
- حتّى لا نكون من الخاسرين: لا بدّ من الإيمان المقترن بالعمل الصالح، وأن نوصي بعضنا بالحقّ والصبر.

أسئلة

١- اذكر حديثاً حول فضل هذه السورة.

٢- كيف تتصوَّر أهميّة الزمن؟

٣- اذكر حديثاً يشير إلى خطورة طول الأمل.

٤- ما هو علاج طول الأمل؟

للمطالعة

وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام [1]

كان في وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام أن قال: «**يا عليّ أوصيك في نفسك بخصالٍ فاحفظها عنّي**».

ثمَّ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**اللهمّ أعنه**».

أمّا الأولى: فالصدق ولا يخرجنَّ من فيك كذبة أبداً.

والثانية: الورع ولا تجترئ على خيانة أبداً.

والثالثة: الخوف من الله عزَّ ذكره كأنّك تراه.

والرابعة: كثرة البكاء من خشية الله تعالى، يُبنى لك بكلّ دمعة ألف بيت في الجنّة.

والخامسة: بَذْلَك مالك ودمك دون دينك.

والسادسة: الأخذ بسنّتي في صلاتي وصومي وصدقتي.

«**أمّا الصلاة فالخمسون ركعة وأمّا الصيام فثلاثة أيّام في الشهر الخميس في أوّله والأربعاء في وسطه والخميس في آخره، وأمّا الصدقة فجهدك حتّى تقول قد أسرفت ولم تسرف، وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الليل، وعليك بصلاة الزوال وعليك بصلاة الزوال وعليك بصلاة الزوال، وعليك بتلاوة القرآن على كلّ حالٍ، وعليك برفع يديك في صلاتك وتقليبهما. وعليك بالسواك عند كلّ وضوء وعليك بمحاسن الأخلاق فارتكبها ومساوئ الأخلاق فاجتنبها فإن لم تفعل فلا تلومَنَّ إلا نفسك**».

(١) روضة الكافي، ص٧٩، الحديث٣٣.

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره في معرض شرحه لهذه الوصيّة المحمّديّة:

يتّضح من نواح عديدة من هذا الحديث الشريف أنّ هذه الوصايا الّتي أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كانت عنده صلوات الله وسلامه مهمّة جدّاً، وهذه النواحي هي:

إحداها: توجيه الوصيّة نحو أمير المؤمنين عليه السلام مع أنّه سلام الله عليه أسمى من أن يتساهل في الأحكام الشرعيّة والأوامر الإلهيّة ولكنّ هذه الأمور لدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت هامّة جدّاً فلم يُحجم عن الوصيّة بها.

ومن المتعارف أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يوصي بشيء إلّا وقد كان يعتني به ويراه مهمّاً. فلأجل اظهار أهميّته يوصي به حتّى لمن يعرف أنّه لا يتهاون به.

أمّا احتمال أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قد أوصى لأمير المؤمنين عليه السلام حتّى يُفهم الآخرين من قبيل «**إيّاك أعني واسمعي يا جارة**» فهو بعيد لأنّ سياق الحديث يشهد بأنّ الخطاب متوجّه نحو الإمام عليّ عليه السلام وأنّه المقصود مباشرة كما يستفاد من كلمة «**في نفسك**» و«**إحفظها**» و «**اللّهمّ أعنه**».

ثمّ إنّ مثل هذه الوصايا كانت متداولة بين الكبار من الناس وبين الأئمّة الأطهار عليهم السلام من وصيّة بعضهم البعض الآخر.

وكان الظاهر من سياق كلّ واحدة من مثل هذه العبارات الّتي وردت من إمام لإمام آخر عليهما السلام هو الإمام المخاطب بنفسه.

كما ورد في إحدى وصايا الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى ولديه الحسن والحسين عليهما السلام:

«**أوصيكما وأهل بيتي ومن بلغه كتابي**».

ومن المعلوم أنّ الحسنين عليهما السلام كانا داخلين في هذه الوصيّة. وتكشف هذه

الوصايـا عن شدّة اهتمام وتعلّق المعصومين بعضهـم ببعض. وعلى أيّ حال إنّ كـون الإمـام أمير المؤمنين عليه السلام مخاطَباً بالوصيّـة يكشف عن عظمة الوصية وأهميّتها.

ثانيتهـا: إنّ رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكّد على هذه الوصيّة بهذا المستوى من التأكيد للإمـام عليّ بـن أبي طالب عليه السلام رغم أنّه لن يتجاوز وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قيد أنملة ولن يبد تجاهها وهناً ولا فتوراً.

ثالثتهما: نبّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً عليه السلام بعد أن قال: «**يا عليّ أوصيك**». على أهميّة الوصيّة قائلاً: «**فاحفظها عنّي**».

ولمّـا تمنّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتي بهذه الوصايا المهمّة دعا له قائلاً: «**اللهمّ أعنه**».

وهكـذا بقيّة التأكيـدات، الّتي وردت فـي كلّ واحدة من هـذه الجمل بصورة مستقلّة مثل نون التوكيد، تكرار الوصيّة وغير ذلك ممّا لا نحتاج إلى تعداده.

إذاً يُعلم أنّ هذه الوصايا من الأمور الهامّة. ومن الواضح أنّه لا يعود في جميع هـذه الوصايـا بالفائدة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنّما تعـود المنفعة إلى المخاطب. والإمـام عليه السلام وإن كان هو المخاطب بالأصالة ولكـنّ التكاليف عامّة ومشتركة بين الجميع، حيث لا تعطّل برحيل المخاطب بل إنّها متواصلة مع الأجيال.

ولا بـدَّ من معرفة أنّ شدّة تعلّق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالإمام عليّ عليه السلام تبعث على الفائـدة الكبيرة لهـذه الوصايا التي بُيِنتْ بهذا الأسلوب وعلـى أهميّتها الكبيرة والله العالم.

الدرس
الحادي عشر

سورة الهُمَزَة

أهداف الدرس

- أن يحفظ الطالب سورة الهُمَزة المباركة.
- أن يستذكر بعضاً من معاني مفرداتها.
- أن يتبيّن بعضاً من مفاهيمها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ.

شرح المفردات:

١- الهُمَزة: الّذي يعيبك بظهر الغيب.

٢- اللُّمَزة: الّذي يعيبك في وجهك.

٣- لينبذنّ: ليقذفنّ.

٤- الحطمة: اسم من أسماء جهنّم.

٥- الأفئدة: القلوب.

٦- مؤصدة: مطبقة.

محتوى السورة وفضيلتها

هذه السورة، وهي من السور المكّية، تتحدّث عن أناس جعلوا كلّ همّهم لجمع المـال، وحصروا كلّ قيم الإنسان الوجوديّة في هذا الجمع، ثمّ هم يسخرون من

الّذيــن لا يملكون المال وبهم يستهزئون، ومنهم الوليد بن المغيرة، والأخنس بن شريق، وأميّة بن خلف.

هــؤلاء الأثرياءُ المستكبرون والمغرورون أسكرهم الطغيان فراحوا يستهينون بالآخرين ويعيبونهم ويتلذّذون بما يفعلون من غيبة واستهزاء.

الســورة تتحــدّث في النهاية عــن المصير المؤلم الّذي ينتظــر هؤلاء، وكيف أنّهــم يُلقون في جهنّــم صاغرين، وأنّ نــار جهنّم تتّجه بلظاهــا أوّلاً إلى قلوبهم المليئة بالكبر والغرور، وتحرقها بالنار.

وفي فضيلة هذه السورة ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**من قرأ سورة الهُمَزة أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمّد وأصحابه**»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**من قرأ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ في فرائضه، أبعد الله عنه الفقر وجلب عليه الرزق ويدفع عنه ميتة السوء**»[2].

في كنف السورة

الســورة المباركــة تــورد صفات عديــدة لصنف مــن الناس. هــذه الصفات مذمومة، لما لها من آثار سلبيّة على الفرد والمجتمع.

١ - الهمز واللمز:

قال الشيخ الطبرسي في مجمع البيان:

الهمزة: الكثير الطعن على غيره بغير حقّ، العائب له بما ليس بعيب...

واللمز: العيب أيضاً.

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٣٦.

(٢) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص١٢٦.

وقيل: بينهما فرق فإنّ الهمزة: الّذي يعيبك بظهر الغيب، واللمزة: الّذي يعيبك في وجهك...

وقيل: الهمزة: الّذي يؤذي جليسه بسوء لفظه، واللمزة الّذي يكسر عينه على جليسه ويشير برأسه ويومي بعينه...[1].

وفي الحقيقة إنّ هاتين الصفتين أكثر ما تنبثقان من اللسان، الّذي إذا أُسيء استعماله أدّى بالإنسان الفرد والمجتمع إلى عواقب وخيمة.

وهذا ما حذّر منه رسول الله ﷺ، حيث حمَّل اللسان من الأوزار والعذاب ما لم يحمِّله لغيره من جوارح البدن فقال ﷺ:

«**يعذِّب الله اللسان بعذاب لا يُعذّب به شيئاً من الجوارح فيقول: أي ربّ عذّبتني بعذاب لم تعذّب به شيئاً. فيقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها، فسُفك بها الدم الحرام وانتُهب بها المال الحرام وانتُهك بها الفرج الحرام، وعزّتي وجلالي لأعذّبنّك بعذاب لا أعذّب به شيئاً من الجوارح...**»[2].

ولخطورة موقع اللسان في حياة الإنسان فرداً ومجتمعاً، وردت الوصايا الإسلاميّة الكثيرة، في تهذيب اللسان.

فهذا القرآن الكريم يقارن بين الكلمة الطيّبة والكلمة الخبيثة قائلاً:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[3].

(١) نقله عن المجمع، تفسير الميزان، ج٢٠، ص٣٥٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٦٨، ص٣٠٤.

(٣) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤ ـ ٢٦.

وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام قوله في رسالة الحقوق حول حقّ اللسان:

«وأمّا حقُّ اللسان فإكرامه عن الخنى[1] وتعويده على الخير وحمله على الأدب وإجمامه[2] إلّا لموضع الحاجة والمنفعة للدِّين والدُّنيا، وإعفاؤه عن الفضول الشنعة القليلة الفائدة الّتي لا يُؤمن ضررها مع قلّة عائدتها، ويعدُّ شاهد العقل والدليل عليه، وتُزيّن العاقل بعقله حُسنُ سيرته في لسانه ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم»[3].

وللّسان قبائح منها:

١- الفحش والبذاءة:

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّ من أشرّ عباد الله من تُكره مجالسته لفحشه»[4].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«إذا رأيتم الرجل لا يبالي ما قال ولا ما قيل له فهو شرك شيطان»[5].

وفي حديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّ الله حرّم الجنّة على كلّ فحّاش بذيء، قليل الحياء، لا يُبالي ما قال ولا ما قيل له، فإنّك إن فتّشته لم تجده إلى لغية أو شرك شيطان. قيل يا رسول الله وفي الناس شرك شيطان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أما تقرأ قول الله عزَّ وجلّ: ﴿.. وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ...﴾[6]»[7].

(١) الخنى: الفحش في الكلام.
(٢) إجمامه: إراحته.
(٣) تحف العقول، الحرّاني، ص٢٥٦.
(٤) م.ن، ح٨.
(٥) م.ن، ح١.
(٦) سورة الإسراء، الآية:٦٤.
(٧) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٣٢٣.

وعن أبي عبد الله عليه السلام:

«إنّ الفحش والبذاءة والسلاطة من النفاق»[1].

٢- الغيبة:

وهي ذكرك أخاك بما يكره في غيبته. وقد ورد الكثير من النصوص الإسلاميّة حول قبحه، ويكفيك قول الله تعالى: ﴿... وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

٣- البهتان:

وهو ذكرك أخاك بما ليس فيه، وهو أشدّ قبحاً من الغيبة، ويعدّ البهّات من شرار الرجال، كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: **«ألا أخبركم بشرار رجالكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله، فقال: إنّ من شرار رجالكم البهّات الجريء الفحّاش...»**[3].

٤- الاستهزاء:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[4].

٥- النميمة والفتنة:

وهي أن تخبر شخصاً خبراً، لتفسد علاقته مع أخيه أو صديقه.

(١) وسائل الشيعة، ج١١، كتاب الجهاد، باب ٧١ من أبواب جهاد النفس، حديث ٣.
(٢) سورة الحجرات، الآية:١٢.
(٣) الكافي، ج٢، ص٢٩٢.
(٤) سورة الحجرات، الآية:١١.

٦ - الكذب:

وهو الإخبار بغير الواقع، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إنّ الكذب هو خراب الإيمان**»[١].

الحلّ: ممّا يساعد على تغيير اللسان: العادة، يقول الشاعر:

«**عوِّد لسانك قول الحقّ تحظَ به إنّ اللسان لما عوّدت معتاد**»

ويجمع الجميع صفتا الهمز واللمز، اللذين يكشفان عن باطن خبيث للإنسان الذي يتّصف بهما، فالإناء بالذي فيه ينضح، وأكثر ما ترى قبح اللسان في الكافرين.

٢- حبّ المال:

الصفة الثانية التي ذكرتها الآية الكريمة، حبّ المال. وهنا نقف قليلاً حول هذه الصفة.

فبشأن المال والثروة، اختلفت وجهات نظر الناس بين إفراط وتفريط، بعضهم أسبغ على المال أهميَّة فائقة فجعله مفتاح حلّ كلّ المشاكل، وإلى ذلك ذهب الشاعر في قوله:

فصاحة سليمان وخطّ ابن مقلة

وحكمة لقمان وزهد ابن أدهم

إذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس

فليس له قدر بمقدار درهم

ولذلك فإنّ دأب هؤلاء الأفراد جمع المال، ولا يدّخرون وسعاً على هذا الطريق، ولا يتقيّدون بقيد، ولا يهتمّون بحلال أو حرام، بهمز أو بلمز، بكذب أو بهتان، المهمّ عندهم تعداد الأموال. وهذه الصفة أكثر ما توجد في الكافرين.

(١) الكافي، الكليني، ج٢، ص٣٣٨.

ومقابل هذه المجموعة هناك من لا يعير أية أهميّة للمال والثروة، يمتدحون الفقر، ويشيدون به، ويرون في المال عائقاً للتقوى والقرب الإلهيّ، كبعض المتصوِّفة ومن سلك مسلك الرهبانيّة.

وإزاء ذاك الإفراط وهذا التفريط، يقف الإسلام وسطاً ويبيّن أنّ المال مطلوب ولكن بشروط:

أوّلها: أن يكون وسيلة لا غاية.

ثانيها: أن لا يكون الإنسان له أسيراً، بل أن يكون عليه أميراً.

ثالثها: أن يأتي بالطرق المشروعة (لا بالكذب والبهتان، والغشّ والخداع) وأن ينفق في سبيل رضا الله تعالى.

فالرغبة في هذا المال ليست دائماً دليلاً على حبّ الدنيا.

٣- توهّم باطل:

من الصفات الّتي ذكرتها السورة الكريمة، أنّ هذا الصنف من الناس يعيش الأوهام الباطلة، لا الحقائق الناصعة، فيحسب أنّ المال الّذي يجمعه هو الّذي سيخلّده في الدنيا.

هذا الصنف من الناس حيث لم يلجأ إلى ركن وثيق، إلى خالق الكون، ربّ العالمين، فإنّه يتمسَّك بأيّ شيء ليوهم نفسه أنّه سيعيش إلى الأبد، وما هو بمزحزحه من العذاب:

﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٌ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ﴾.

خلاصة الدرس

– تتمحور سورة الهُمَزة المباركة حول الحديث عن أناس كرّسوا حياتهم لجمع المال وجعلوه ميزاناً للتفاضل.

– تورد السورة الكريمة صفاتاً متعدّدة لهؤلاء منها الهمز واللمز الذي يخرج عن لسان الإنسان تجاه غيره وله مصاديق قبيحة كالفحش والغيبة والبهتان والاستهزاء والنميمة والكذب.

– لا ينبغي للإنسان أن يكون أسيراً للمال، سالكاً السبل المحرّمة في جمعه، ولا ينبغي له ترك طلب الرزق والمال من الله تعالى وبما أحلّه الله فبه يحفظ الإنسان وجهه عن التبذّل للآخرين.

– إنّ نهاية المتعلّق بأوهام الدنيا المعتبِر بأنّ المال غاية المنى ومنتهى الرجاء ستكون مؤلمة وقاسية بنار موقدة لا تحرق الجلود فحسب بل تصل إلى الأفئدة.

أسئلة

١– ما المراد من الهُمَزة واللُّمزة؟

٢– ما هو موقف الإسلام من جمع المال؟

٣– اذكر حديثاً يشير إلى خطورة اللسان.

٤– ما هي شروط جمع المال الصحيح؟

٥– ما هو التوهُّم الباطل الّذي يعيشه محبّ المال؟

المفاسد الاجتماعيّة للغيبة

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره:

إنّ هذه المعصية الكبيرة وهذه الجريرة العظيمة، من المفسدات للإيمان والأخلاق والظاهر والباطن، وهي تدفع بصاحبها إلى الفضيحة في الدنيا والآخرة... وتشتمل هذه الرذيلة على مفاسد اجتماعيّة ونوعيّة أيضاً. ولهذا يكون فسادها وقبحها أعظم من كثير من المعاصي.

إنّ من الأهداف الكبيرة للشرائع الإلهيّة والأنبياء العظام سلام الله عليهم: توحيد الكلمة وتوحيد العقيدة والاتّفاق في الأمور الهامّة، والحدّ من ظلم الجائرين الباعث على فساد بني الإنسان، ولا يتحقّق هذا الهدف الكبير المصلح للمجتمع والفرد إلّا في ظلّ وحدة النفوس واتّحاد الهمم والتآلف والتآخي، والصداقة القلبيّة والصفاء الباطنيّ والظاهريّ، وتربية أفراد المجتمع على نمط يساهم في جعلهم كشخص واحد، ويحوّل المجتمع إلى فرد، ويجعل الأفراد بمنزلة الأعضاء والأجزاء لذلك الفرد ومن ثمّ ما تدار كافّة الجهود والمساعي حول الهدف الإلهيّ الكبير، والأمر الهامّ وهو الوحدة والأخوّة الذي فيه مصلحة الفرد والمجتمع. ولو أنّ مثل هذه الوحدة والأخوّة ظهرت في طائفة أو نوع، لتغلّبوا على جميع الطوائف والأمم الّتي لا تحظى بالأخوّة والوحدة كما يتّضح ذلك من مراجعة التاريخ وخاصّة دراسة الحروب الإسلاميّة وفتوحاته العظيمة، حيث تمتّع المسلمون لدى بزوغ فجر الإسلام، بشيء من الوحدة والاتّحاد، واقترنت مساعيهم بشيء من الخلوص في النيّة، فحقّقوا في فترة قصيرة إنجازات عظيمة، وهزموا القوى الجبّارة آنذاك المتمثّلة في الفرس والروم وانتصروا رغم قلّة عددهم وعُدّتهم على الجيوش المدجّجة بالسلاح وعلى المجتمعات الكبيرة.

إنّ نبـيّ الإسـلام ﷺ قد أجرى عقد الأخوّة في الأيّـام الأولى بين المسلمين فسـادت الأخـوّة حسب الآيـة الكريمـة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ...﴾[1]، بين جميع المؤمنين.

وفـي الكافـي عن شعيـب العقرقوفي قـال: سمعت أبا عبـد الله عليه السلام يقول لأصحابه:

«اتّقـوا الله وكونـوا إخوة بـررةً في الله متواصلين متراحميـن، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه»[2].

وعـن أبي عبـد الله عليه السلام قال: **«يحقّ علـى المسلمين الاجتهاد فـي التواصل والتعاون على التعاطف والمواساة لأهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض حتّى تكونوا كما أمركم الله (عزَّ وجلَّ) ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾»**[3].

وعنه عليه السلام: **«تواصلوا وتبارّوا وتراحموا وكونوا إخوة بررةً كما أمركم الله عزَّ وجلَّ»**[4].

ومن المعلوم أنّه كلّ ما يبعث على ازدياد هذه الصفات، يكون محبوباً ومرغوباً فيـه وكلّ ما ينقض هذه الأخوّة ويفرط عقد التواصـل ويدفع نحو التمزّق، يعتبر مبغوضـاً عنـد صاحب الشريعة ومناقضـاً لأهدافه الكبيرة. ومـن الواضح لدى الجميـع بأنّ هذه المعصية الكبيرة الخطيرة ـ الغيبـة ـ إذا أشيعت في المجتمع، غرست شجـرة النفاق فيه، وضعضعت وحدة المجتمـع وتضامنه، ووهن أساس الديانة، وفي النهاية تزداد في المجتمع القبائح والمفاسد.

فيجـب على كلّ مسلـم غيور ملتزم، لصيانة نفسه مـن الفساد، وأهل دينه من

(١) سورة الحجرات، الآية:١٠.
(٢) أصول الكافي، ج٢ ، ص١٧٥ -كتاب الإيمان والكفر، باب التراحم والتعاطف- ح١.
(٣) م.ن، الحديث ١٤.
(٤) م.ن، الحديث ٢.

النفاق وللمحافظة على المجتمع الإسلاميّ ووحدته ولتحكيم عقد الأخوّة أن يبتعد عـن هذه الرذيلة، ويمنع المغتابين من هذه الموبقـة القبيحة، ويتوب إلى اللّه من هـذا العمل الكريه، إذا كان مبتلىً به، ويسترضـي من اغتابه. وإذا أمكن من دون أن يفضي إلى مشكلة استحلّه، وإلّا استغفر له وتخلّى عن هذه الخطيئة، وأنعش من جديد في قلبه جذور الصداقة والاتّحاد، حتى يصبح من الأعضاء الصالحين في المجتمع وينقلب إلى جزء هام في عجلة الإسلام واللّه الهادي إلى سبيل الرشاد.

الدرس
الثاني عشر

سـورة الماعون

أهداف الدرس

- أن يحفظ الطالب سورة الماعون المباركة.
- أن يستذكر بعضاً من معاني مفرداتها.
- أن يتبيّن بعضاً من مفاهيمها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

شرح المفردات:

١- الدّعّ: الردّ بعنف وجفاء.

٢- يحضّ: «الحضّ» الترغيب.

٣- ساهون: ناسون.

٤- الماعون: كلّ ما يُعين في رفع حاجة من حوائج الحياة.

محتوى السورة وفضيلتها

هذه السورة على رأي أكثر المفسّرين مكيّة، وسياقها الّذي يتحدَّث عن القيامة وأعمال منكري القيامة بمقاطع قصيرة وقارعة يؤيّد ذلك.

السورة بشكل عامّ تذكر صفات وأعمال منكري القيامة في خمس مراحل.

فهـؤلاء نتيجـة لتكذيبهم بذلك اليـوم، لا ينفقون في سبيـل الله وعلى طريق مساعـدة اليتامـى والمساكيـن. ثمّ هم يتساهلـون في الصـلاة، ويُعرضون عن مساعدة المحتاجين.

وفـي سبب نـزول السورة قيل إنّهـا نزلت في أبي سفيان الّـذي كان ينحر في اليـوم اثنيـن من الإبل ويُطعم أصحابـه، ولكنّ يتيماً جاءه يومـاً يطلب منه شيئاً فضربه بعصاه وطرده.

وقيـل إنّها نزلت في الوليد بن المغيرة، وقيل فـي العاص بن وائل[1] وفي أبي جهل وكفّار قريش[2].

وفـي فضيلة تلاوة هـذه السورة ورد عن الإمام محمّد بـن عليّ الباقر عليه السلام أنّه قال:

«**مـن قـرأ ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ فـي فرائضـه ونوافلـه قَبِـلَ الله صلاته وصيامه ولم يحاسبه بما كان منه في الحياة الدنيا**»[3].

في كنف السورة

السورة المباركة على صغرها تحمل معانيَ وأفكاراً ومفاهيم مهمَّة، منها:

خطورة التكذيب بالدِّين:

فسِّـر الديِّـن وهـو التفسير غيـر المشهـور باتّباع الملَّـة أي ملّـة الإسلام العظيـم، وفسِّر وهو التفسير المشهـور بيوم الدِّين أي يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

وعلى كلا التفسيرين فإنّ اللوازم المذكورة للتكذيب بالدِّين تصحّ، فالمكذِّب

(١) الأمثل، ج٢٠، ص٤٣٩.
(٢) الميزان، ج٢٠، ص٣٦٨.
(٣) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٤٦.

بالإسلام والكافر به، والمكذِّب بالآخرة، كلاهما يحملان صفات روحيّة وسلوكيّة قبيحة.

فهناك ارتباطٌ وثيق بين الاعتقاد من جهة والروحيّة والأخلاق والسلوك من جهة أخرى، فمن لا اعتقاد له بالله واليوم الآخر، تُلاحظ فيه سلوكيّات شاذّة، منها:

أ- يدعّ اليتيم:

والدعّ هو الردّ بعنف، وهذا أقصى مراتب قساوة القلب. فلا يكفي الكافر في بعض حالاته من عدم الإحسان إلى اليتيم، بل يترقّى إلى أذيّته بردِّه بعنف.

أمّا المسلم المؤمن بالله وبالآخرة فهو بخلاف ذلك، إنّه رحيم بالأيتام الّذين أوصى الإسلام العظيم بهم في وصايا كثيرة:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾[1].

ويقول سبحانه: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾[2].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته قبل موته:

«الله الله في الأيتام فلا تغبُّوا[3] أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من عال يتيماً حتّى يستغنيَ عنه أوجب الله عزَّ وجلَّ له الجنّة كما أوجب لآكل مال اليتيم النار»[4].

عن أبي الدرداء قال: أتى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم رجل يشكو قسوة قلبه.

(١) سورة البقرة، الآية:٨٣.
(٢) سورة البقرة، الآية:١٧٧.
(٣) أغبّ القوم: جاءهم يوماً وترك يوماً، أي لا تجوّعوهم بأن تطعموهم غبّاً.
(٤) فروع الكافي، ج٧، ص١١.

فقال ﷺ: «أتحبّ أن يلين قلبك، وتدرك حاجتك؟ إرحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلن قلبك وتدرك حاجتك»[١].

ولقد ذمّ الإسلام آكلي أموال اليتامى:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾[٢].

عن رسول الله ﷺ: «شرّ المآكل أكل مال اليتيم»[٣].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: يُبعث ناس من قبورهم يوم القيامة تأجّج أفواههم ناراً. فقيل له: يا رسول الله من هؤلاء؟ قال: الّذين يأكلون أموال اليتامى»[٤].

وبعض الروايات يعلّل حرمة أكل مال اليتيم:

عن الإمام الرضا عليه السلام فيما كتب من جواب مسائله:

«حرّم أكل مال اليتيم لعلل كثيرة من وجوه الفساد. أوّل ذلك، إذا أكل مال اليتيم ظلماً فقد أعان على قتله إذ اليتيم غير مستغنٍ، ولا محتمل لنفسه، ولا قائم بشأنه، ولا له من يقوم عليه ويكفيه كقيام والديه، فإذا أكل ماله فكأنّه قد قتله وصيّره إلى الفقر والفاقة...»[٥].

ب- لا يحضّ على طعام المسكين:

ومن صفات الكافر أنّه ليس لديه روح التعاون، فهو لا يحضّ على طعام المسكين، أي لا يرغّب نفسه أو غيره على إطعام المسكين.

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، مج١٠، ص٧٦٥.
(٢) سورة النساء، الآية:١٠.
(٣) ميزان الحكمة، مج١٠، ص٧٦٦.
(٤) م.ن،
(٥) م.ن، مج١٠، ص٧٦٧.

المدّعون للإسلام المتشبّهون بالكافرين

ثمّ تنتقل السورة إلى صنف من الناس تراهم في المجتمع الإسلاميّ، ويدّعون الإسلام، إلّا أنّ سلوكهم وأخلاقيّاتهم تشابه أخلاق الّذي يكذِّب بالدِّين، وهؤلاء تعرفهم من خلال بعض الصفات:

١- ساهون عن الصلاة مراؤون بها:

فهم غافلون عنها لا يهتمّون ولا يبالون أن تفوتهم بالكلّية، وبالإضافة للسهو عن الصلاة هناك سهو في الصلاة ينبغي أن يتجنّبه المؤمن.

فالسهو في موضوع الصلاة مراتب:

أ - تركها كلّيّة، كمن يدّعي الإسلام قولاً، وينكره بتركه للصلاة عملاً.

ب - الصلاة المرائية.

ج - التهاون بها وتضييعها وعدم الاهتمام بها، فهو يصلّي مرّة ويقطع عشراً.

د - عدم الخشوع فيها.

هـ - تأخيرها عن أوّل وقتها.

في تفسير القمّيّ في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾، قال: نزلت في أبي جهل وكفّار قريش، وفي قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾. قال: عنى به تاركون، لأنّ كلّ إنسان يسهو في الصلاة.

عن أبي عبد الله عليه السلام: «**تأخير الصلاة عن أوّل وقتها لغير عذر**»[1].

وفي الخصال عن الإمام عليّ عليه السلام قال:

«**ليس عمل أحبّ إلى الله عزَّ وجلَّ من الصلاة فلا يشغلنّكم عن أوقاتها شيء من أمور الدنيا فإنّ الله (عزَّ وجلَّ) ذمّ أقواماً فقال:** ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ

(١) تفسير الميزان، الطباطبائي، ج٢١، ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

﴿سَاهُونَ﴾ **يعني أنّهم غافلون استهانوا بأوقاتها»**[1].

وفي الإسلام توصيات كثيرة بالصلاة، فهي عمود الدين، والّتي إن قبلت قبل ما سواها وإن ردّت ردّ ما سواها، وأوّل شيء يُسأل العبد عنه يوم القيامة، وهي قربان كلّ تقيّ.

عن الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق:

«فأمّا حقّ الصلاة فأن تعلم أنّها وفادة إلى الله وأنّك قائم بها بين يدي الله فإذا علمت ذلك كنت خليقاً أن تقوم فيها مقام الذليل، الراغب الراهب، الخائف، الراجي، المسكين، المتضرّع المعظّم من قام بين يديه بالسكون والإطراق وخشوع الأطراف ولين الجناح وحسن المناجاة له في نفسه والطلب إليه في فكاك رقبتك الّتي أحاطت بها خطيئتك واستهلكتها ذنوبك. ولا قوّة إلّا بالله»[2].

والإمام زين العابدين عليه السلام لم يكن متكلّماً بهذه الكلمات فحسب بل:

«كان إذا قام إلى الصلاة تغيّر لونه فإذا سجد لم يرفع رأسه حتّى يرفض[3] **عرقاً»**.

وفي حديث آخر:

«كان عليّ بن الحسين إذا قام في الصلاة كأنّه ساق شجرة لا يتحرّك منه شيء إلّا ما حرّكت الريح منه»[4].

هذه هي صلاة الأئمّة عليهم السلام، صلاتهم ليست كصلاة من روى عنه أبو جعفر عليه السلام حيث يقول:

(١) تفسير الميزان، الطباطبائي، ج٢١، ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩.
(٢) رسالة الحقوق، للإمام زين العابدين، حقّ الصلاة.
(٣) يرفض عرقاً: يسيل عرقه ويجري.
(٤) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٦٤.

«بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد إذ دخل رجل فقام يصلّي فلم يتمّ ركوعه ولا سجوده فقال رسول الله ﷺ: نقر كنقر الغراب لئن مات هذا وهكذا صلاته ليموتنّ على غير ديني»[1].

٢- يمنعون الماعون:

ومن صفات تاركي الصلاة المتهاونين بها، صفة منع الماعون، والماعون: «**كلّ ما يعين الغير في رفع حاجة من حوائج الحياة كالقرض تقرضه والمعروف تصنعه ومتاع البيت تعيره**»[2] إلى غير ذلك.

عن أبي عبد الله عليه السلام:

«**وقوله (عزّ وجلّ) ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ هو القرض تقرضه والمعروف تصنعه ومتاع البيت تعيره ومنه الزكاة**»[3].

فالمسلم الحقيقيّ: هو الباذل المعطي الكريم المتصدِّق، هو صاحب روح معطاءة متعاونة، لا شحيحة بخيلة.

أنظروا إلى أئمّتكم قدوتكم عليهم السلام كيف كانوا:

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[4].

حشرنا الله مع أئمّتنا، مع محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، والتسعة المعصومين من ذريّة الحسين عليهم السلام، وجعلنا الله من المقتدين بهم، فمن اقتدى بهم ربح، ومن تخلّف عنهم خسر.

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٣، كتاب الصلاة، باب ٨ من أبواب اعداد الفرائض حديث ٢.
(٢) تفسير الميزان، الطباطبائي، ج٢٠، ص٢٦٨.
(٣) م.ن، ص٢٦٩.
(٤) سورة الإنسان، الآيتان: ٨ ـ ٩.

خلاصة الدرس

- تذكر سورة الماعون المباركة بعضاً من صفات وأعمال منكري يوم القيامة.

- من مفاهيم هذه الصورة: خطورة التكذيب بالدِّين ويتميّز صاحبه بأنّه يردّ اليتيم بعنف ولا يدعو لإطعام المساكين.

- ثمّ تنتقل السورة للحديث عن المدّعين للإسلام قولاً المشابهين للكافرين فعلاً، الساهين عن الصلاة التاركين لها، ومن صفاتهم أنّهم يمنعون الخير عن الآخرين.

أسئلة

١- اذكر حديثاً حول فضل قراءة هذه السورة.

٢- ما المراد بقوله «يدعّ»؟

٣- اذكر آية تدلّ على أنّ الإحسان إلى اليتيم من صفات المؤمنين.

٤- كيف يتحقّق السهو عن الصلاة؟

ماعون آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

فيما ينقل عن الإمامين الحسين بن عليّ والصادق صلوات الله وسلامه عليهما:

«أنّهما كانا يتصدّقان بالسُكَّر ويقولان إنّه أحبّ الأشياء إلينا وقد قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾»[1].

وفي الحديث عن أبي الطفيل قال: اشترى عليٌّ عليه السلام ثوباً فأعجبه فتصدّق به وقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«من آثر على نفسه آثره الله يوم القيامة بالجنَّة ومن أحبَّ شيئاً فجعله لله قال الله تعالى يوم القيامة قد كان العباد يُكافئون فيما بينهم بالمعروف وأنا أكافيك اليوم بالجنَّة»[2].

واستضاف أبو ذرّ الغفاريّ ضيفاً فقال للضيف:

إنّي مشغول وإنَّ لي إبلاً فاخرج وأتني بخيرها.

فذهب فجاء بناقة مهزولة.

فقال له أبو ذرّ: خُنتني بهذه.

فقال: وجدتُ خير الإبل فحلَها فذكرت يوم حاجتكم إليه.

فقال أبو ذرّ: **«إنَّ يوم حاجتي إليه ليوم أوضعُ في حُفرتي والله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.**

«وإنّ هذا الجمل كان ممّا أُحبُّ من مالي فأحببت أن أقدِّمَه لنفسي»[3].

(١) مجمع البيان، ج٢، ص٤٧٢، طباعة دار احياء التراث العربي.

(٢) م.ن.

(٣) م.ن، تفسير الآية ٩٢ من سورة آل عمران.

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره في بيان سرٍّ من أسرار الصدقة:

لا بدَّ وأن نعرف بأنّ الإنسان قد نشأ وتربّى على حبّ المال والجاه والزخارف الدنيويّة. وقد انعكس هذا التعلّق على قلبه، فتعمَّق فيه وأضحى مصدراً لكثير من المفاسد الخلقيّة والسلوكيّة، بل الانحرافات الدينيّة. كما ورد في أحاديث كثيرة[1] وأشرنا إلى ذلك في غضون شرحنا لبعض الأحاديث[2]. وعليه إذا استطاع الإنسان بواسطة الصدقات أو الإيثار على النفس أن يستأصل من قلبه هذا التعلّق أو يخفّف منه، لتمكّن من اجتثاث مادّة الفساد ومصدر الأعمال المشينة فترة حياته وفتح أبواب المعارف الإلهيّة، وعالم الغيب، والملكوت، والملكات الفاضلة، على نفسه، وهذا من الأمور الهامّة في الإنفاق الماليّ الواجب والمتسحبّ وخاصّة في الإنفاق المستحبّ حيث لا بدَّ من الإقلاع عن التعلّق بالدنيا حتّى يتمّ البذل، وهو واضح.

إذن يتبيّن من كافّة الأخبار والأحاديث في هذا الموضوع أنّ الصدقة تشتمل على الفضائل الدنيويّة والأخرويّة حيث ترافق الإنسان من اللحظة الأولى من التصدّق فتدفع الشرّ والبلاء عن الإنسان حتّى يوم القيامة ومواقفها إلى أن تُدخل الإنسان إلى الجنّة وتسكنه جوار الحقّ سبحانه.

لا بدَّ أن نعرف بأنّ صدقة السرّ أفضل من الصدقة في العلن، كما ورد في الكافي الشريف بسنده إلى عمّار الساباطيّ عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«يا عمّار الصدقة في السرّ والله أفضلُ من الصدقة في العلانية وكذلك والله العبادة في السِّرّ أفضل منها في العلانية»[3].

(١) أصول الكافي، ج٢، ص ٣١٥ كتاب الإيمان والكفر باب حبّ الدنيا والحرص عليها الأحاديث١/١٧.

(٢) الحديث ٦، ص١٤٦ فصل في بيان سبب ازدياد حبّ الدنيا.

(٣) فروع الكافي، ج٤، ص٨ كتاب الزكاة باب فضل صدقة السرّ، الحديث ٢.